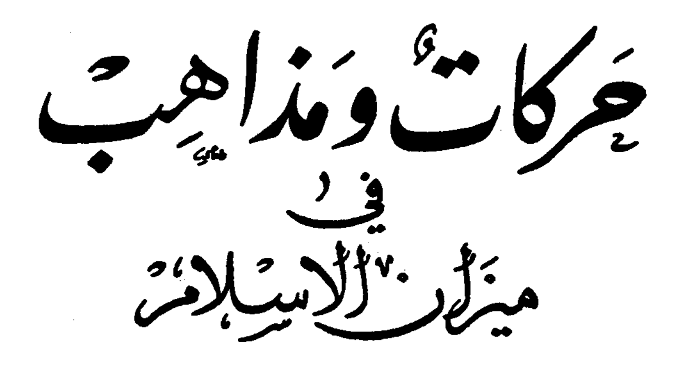
نحو وعي حركي إسلامي



حركات ومذاهب في ميزان الإسلام

القسم الأول

الشيوعية - الرأسمالية - الماسونية - القومية السورية
القومية العربية

فتحي يكن

مؤسسة الرسالة

الطبعة الثالثة
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٢٩٥٥٠١ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران



المقدمة

اعتزازنا بالإسلام يشتد يوماً بعد يوم .. وإيماننا بجدارة هذا الدين لقيادة البشريه في ازدياد مستمر . . وفشل الاتجاهات الزمنية والقيادات السياسية في توفير السعادة والاستقرار للإنسانية المعذبة ليؤكد على الزمن ما ليس بحاجة إلى تأكيد وهو أن المستقبل لهذا الدين ..

لقد شهدت المنطقة العربية خلال ربع القرن الأخير محاولات متلاحقة من التجارب الفاشلة على كل صعيد ..

فعلى الصعيد السياسي فشلت الاتجاهات (القومية) في إقامة أي شكل من أشكال الوحدة أو الاتحاد حتى بين قطرين اثنين من الأقطار العربية ..

وعلى الصعيد العسكري تسببت هذه الاتجاهات ـ على الأقل ـ بهزيمة الخامس من حزيران وبطعن القضية الفلسطينية في الصميم .

وعلى الصعيد الاقتصادي أخفقت النظريات المستوردة ـ رأسمالية واشتراكية ـ في ايجاد مجتمع الكفاية والعدل ، وتأمين الاستقرار والرفاه لهذا الإنسان في أية بقعة من بقاع العالم .. بل إن هذه المذاهب والنظم الوضعية زادت مشكلات البشرية تعقيداً ، ولم تقدم بين يدي تجاربها الكثيرة المتلاحقة تجربة واحدة يمكن اعتبارها ناجحة !!

فالدول التي تمارس تجارب (التطبيق الماركسي) مثقلة بالأزمات والتناقضات في مجالي التخطيط والتنفيذ وفي كل مجال ؛ فمشكلات التأميم ومشكلات التموين ومشكلات الغلاء ومشكلات حرب الطبقات وغيرها أصبحت من الظواهر البارزة في تلك المجتمعات ..

كذلك الدول التي تمارس تطبيق (النظام الحر) هي الأخرى غارقة في طوفان مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية كمشكلات الاحتكار والبطالة والربا والتسلط الفردي وغير ذلك من المشكلات التي لا حصر لها ولا عد .. ذلك أن هذه المذاهب والنظم الاجتماعية والاقتصادية لم تحاول الارتفاع بحلولها وتصوراتها فوق (الواقع المادي) لأنها جزء منه ومظهر من مظاهره وفاقد الشيء لا يعطيه ...

ولا نكون مفتئين أو مبالغين إذا قلنا أن المقاييس التي اعتمدتها هذه المذاهب الحديثة - القومية - الرأسمالية - الشيوعية - والاشتراكية - في (تقييمها) للواقع البشري الانساني ليست بشرية وليست إنسانية .. وأمثالها قد يصلح ولكن لمجتمعات (بهيمية) ليست في حاجة أساساً لغير المتطلبات المادية الصرفة .. أما أن تكون مرشحة لتنظيم حياة الإنسان ذات المطالب والحاجات والخصائص الفطرية المتعددة ، فهذا مما لا تستطيعه بحال لأنها تفقد عناصره الأساسية ...

إن الإنسان يعاني من خواء روحه أضعاف ما يعاني من خواء بطنه ، وأن الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الناجمة عن اهتزاز المثل العليا وانعدام القيم الرفيعة لا تدانيها أزمات أخرى ...

ولقد أصبح مسلماً به أن ما تعاني منه البشرية من معضلات ومشكلات ناشيء في الأصل عن انحراف التصور (العقيدي) للكون والإنسان والحياة ، وبالتالي عن انعدام الضوابط (الأخلاقية) لدى الإنسان ...

إن الإنسان إنسان (بروحه وجسمه) وينبغي أن (يقيّم) هكذا روحاً وجسداً غير منفصلين .. وينبغي أن يكون منهجه في الحياة كذلك متكاملاً يشبع حاجة البدن كما يشبع حاجة الروح سواء بسواء ..

وتحقق هذا التلاحم والتناسق بين متطلبات المادة والروح وحاجات الجسم والنفس موقوف على وجود منهج تتوافر فيه كل الخصائص الإنسانية الفطرية ..

والإسلام .. المنهج الوحيد الذي (قيّم) الإنسان هذا التقييم الفطري ؛لاحظ متطلباته النفسية والروحية ، وحاجاته العضوية والمادية .. وعلى ضوء هذا التصور والتقييم الدقيق الكلي جاءت صياغة المنهج الإسلامي . فكان المنهج الذي يتلاءم مع كل بيئة وعصر ...

ومن يوم نكبت هذه الأمه بغزو الحضارات المادية لأفكارها ومعتقداتها، وباجتياح الفلسفات والمبادىء الوضعية لمفاهيمها وتصوراتها ، دهمتها الخطوب والفتن ، وعمّتها المصائب والمحن فلم تعد تعرف طعم السعادة والاستقرار ..

إن الأمة تتحمل كامل المسؤولية أمام الله والتاريخ حين تتخلى عن الإسلام وتتبنى الأفكار والنظم الوضعية الزائفة .

وهذا الكتاب إنما هو محاولة متواضعة لكشف النقاب عن بعض هذه الاتجاهات التي ضللت الأمة ولا تزال تضللها تحت شعارات خادعة كاذبة .. إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

٦ رجب ١٣٩٠
٦ ايلول ١٩٧٠

المؤلف

مَباحث الكِتابْ

- الشيوعية
- الرأسمالية
- الماسونية
- القومية السورية
- القومية العربيه

الشيوعية

* نشأتها
* النظرية الماركسية
* المادية المنطقية
* الشيوعيه قرين الالحاد .
* المادية التاريخية
* الشيوعية قرين الصهيونية
* الشيوعية قرين الاستعمار
* جرثومة فناء الشيوعية



نشأة الشيوعية :

الشيوعية أشد أنواع الاشتراكية عنفاً ، وقد أنشأها (كارل ماركس) اليهودي الذي ولد في ألمانيا عام ١٨١٨ومات في انكلترا عام ١٨٨٣ .

أعلن ماركس عن آرائه الشيوعية عام ١٨٤٧ وكان واثقاً من انهيار النظام الرأسمالي ، وأن الهوة سوف تتسع بين العمال وأصحاب العمل ، وأن نتيجة ذلك ستكون قيام (دكتاتورية الفقراء) .. وقد أعلن ماركس عن آرائه هذه في وثيقةمعروفة باسم (مانيفستو الشيوعية) .

إن المتتبع لحياة ماركس الخاصة يستطيع أن يتبين بوضوح العوامل التي جعلته لا ينتج غير (الشيوعية) مبدأ للحياة ؟؟

فالعامل الأول هو فشله في شؤون حياته الخاصة العاطفية ففي عام١٨٣٦عقد خطوبته سراً على فتاة من أسرةأرستقراطية وعندما انكشف الأمر للأسرة عارضت مشروع الزواج هذا لاعتبارات (طبقية) فكانت هذه أولى الصدمات النفسية في

حياته بل هي أول العوامل التي أذكت في نفسه بواعث الحقد على المجتمع الأرستقراطي البورجوازي ؟

وفي عام ١٨٣٥ خاض ماركس مبارزة بالسيف في (نادي الشعراء) ببون ضد أحد أعضاء النادي البورجوازيين ، فتفوق عليه خصمه وأصابه بجرح في حاجبه .. ويبدو أن الطعنة التي وجهها إليه ذلك البورجوازي لم تترك أثراً في الحاجب فحسب ، وإنما في أعماق عقله الباطن ؟

ثم إن العوز والفاقة ، وضيق ذات اليد التي كانت عليها أسرة ماركس، خلقت لديه نقمة عارمة على الأغنياء ، والمتمولين وجعلته يردد دائماً مقطوعة لشكسبير يقول فيها :

(أيها الذهب .. أيها الذهب الثمين البراق . . إنك تصيّر الأبيض أسوداً ، والقبيح جميلاً ، والشر خيراً ، والعجوز فتياً ، والجبان باسلاً . هذه العبودية الحمراء القانية هي التي تعقد الروابط المقدسة وهي تحلها ..)

إن هذه العوامل جميعها تمكنت أن تفعل في ماركس فعلها البالغ يحركها العامل الأكبر (يهوديته) لينتج الشيوعية أو الماركسية [١]

يضاف إلى ما تقدم أن الشيوعية كانت ردة فعل لطغيان

---

(١) راجع كتاب ماركس والخلق لطلال جرجس ص ٢٧ – ٣٦ .

الإقطاع وتسلطه ، وللأوضاع الشاذة التي كانت تعيشها ، أوربا بوجه عام .. لقد عانى الفلاحون في ذلك الجزء من العالم خلال القرون ، السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر من ألوان العذاب ما جعلهم يفرون إلى مجاهل أوربا وإلى غابات سيبيريا .

كذلك كانت الشيوعية ردة فعـل لانحراف الكنيسة عن خطها الأصيل ، ووقوفها إلى جانب الحكم (التيوقراطي)[1] وتدعيمها لسلطان الطغاة والحكام ودورانها في فلكهم ؟؟ ممـا حمل ماركس على الكفر بكل ما يتصل بالفكرة الدينية والأديان كما سيأتي معنا ..

وهكذا أدت العوامل الخاصة في حياة ماركس ، بالإضافة إلى العوامل العامة التي كان عليها المجتمع إلى ولادة الشيوعية ، التي نعتبرها ردة فعل منحرفة لأوضاع منحرفة ، وليست علاجاً نافعاً لانحراف تلك الأوضاع[2] .

النظرية الماركسية .

تقوم النظرية الماركسية على مبدئين أساسيين همـا المادية

---

(١) الحكم الديني الذي يقوم على الاعتقاد بأن الله قد اختار الملوك مباشرة لحكم الشعب .

(٢) نشبت الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧ وبعدهـا تألفت الحكومة برئاسة نيقولاي لينين وأطلق على القرارات واللوائح والسياسات التي وضعها موضع التنفيذ اسم اللينينية التي قامت على أصول كارل ماركس .ومات لينين ١٩٢٧ م .

المنطقية والمادية الدياليتيكية أي على التفسير المادي للتاريخ . ولهذا سميت بالمادية التاريخية ، ذلك أنها تنظر إلى المادة على أنها أساس كل أمر في الحياة ، وأن البشرية مسيرة في مختلف أطوارها بتأثير المادة فقط ..

المادية المنطقية :

المادية المنطقية تعني أن الحياة كلها مادة ، وأنها أي المادة في حالة حركة دائمة وتطور مستمر .. وهذا بالتالي يعني رفض كل العوامل الغيبية التي تؤمن بها الأديان واعتبار المادة الفاعل المتحرك الوحيد في هذه الحياة ..

إن هذه النظرية (التخريفية) مرفوضة بداهة لاعتبار أن المادة الصماء لا يمكن أن تتحول ذاتياً ، وأنه لا بد لها من محول أو عامل خارجي عنها مؤثر فيها .. فكما أن الجبال والصخور لم تتحول إلى أبنية ، والمعادن المختلفة لم تصبح قطعاً آلية ومعدات ميكانيكية إلا بفعل الإنسان، كذلك فإن المادة بشكل عام ليست العامل في كل شيء لأنها منفعلة وليست فاعلة ؟

وإذا ثبت أن المادة لا بد لها من قوة فاعلة ، وأنها لا يمكن أن تتحرك ، أو تتطور تلقائياً من مؤثر خارجي .. وأن الإنسان هو هذا المؤثر الخارجي ، أصبح الإنسان هو صاحب القيمة الأساسية في الوجود وليس المادة كما تقول الماركسية .

وبالتالي فإن الإنسان والمادة كقوتين مخلوقتين محدودتين تعملان بطرق متقلبة وناقصة - دلالة على نقص ملازم لهما - تؤكدان بمجرد وجودهما وعجزهما ومحدوديتهما وجود قوى غيبية قادرة وراء المادة ووراء الإنسان وفوق المادة وفوق الإنسان ..

فالمادة والإنسان مخلوقان ، وبالتالي ناقصان وعاجزان وقابلان للزوال ، ويحتاجان إلى خالق وجد قبلهما دون أن يكون محتاجاً إلى غيره وهو (الله) الذي أثبتت وجوده أعماله وخلقه.

الشيوعية قرين الالحاد:

إن (تقييم) الشيوعية المادي للكون والانسان والحياة جعلها تنكر وجود الله وتنكر سائر المغيبات الأخرى كالروح والجنة والنار والحساب والعقاب والجان والملائكة ، وإليكم الشواهد على ذلك :

* قال ماركس (لا إله والحياة مادة) .

* قال لينين عام ١٩١٣ (ليس صحيحاً أن الله هو الذي ينظم الأكوان . إنما الصحيح هو أن الله فكرة خرافية ، اختلقها الإنسان ليبرر عجزه . ولهذا فإن كل شخص يدافع عن فكرة الله إنما هو شخص جاهل وعاجز) .

* جاء في خطاب لينين في المؤتمر الروسي عام ١٩٢٠ (أن تهذيب الشبان وتعليمهم يجب أن يتوخى تلقيحهم بالأخلاق الشيوعية ولكن هذه الأخلاق ليست مستمدة من وصايا إلهية لأننا لا نؤمن بالله)

* يقول لينين (أن كل فكرة دينية وكل معتقد بالله ، لا بل إن مجرد التفكير بالله دناءة كامنة في النفس) .

* نشرت صحيفة (سوفتسكيا برافدا) عام ١٩٥٤ (أن الاعتقاد بالله هو تراث القدامى الجهلة) .

* ونشرت عام ١٩٥٨ (أن واجبنا يقضي بأن نوجه حملة كفاح عقائدي صحيحة ضد الدين) .

* أذاعت محطة إذاعة موسكو في ٣ نيسان ١٩٥٨ مانصه: (أن جميع الديانات متشابهة من حيث أنها كلها باطلة ، كما أن وجود الميول والاتجاهات المختلفة جعل الواحدة منها تطرد الأخرى) .

* نشرت صحيفة تركانسكايا اسكرا) في ١ كانون الأول عام ١٩٥٨ (أن العقيدة الدينية الإسلامية هي القوة المظلمة التي لا تزال تفسد العقول وحياة الشعوب وتعيق النمو وتقف كأي حاجز في طريق السعادة والنور والمعرفة . هذا وإن الطقوس الدينية لا تزال لاصقة ثابتة ، كما أن الديانة لم تتوقف عن كونها مادة الأفيون لدى بعض الناس) .

* ونشرت (باكنسكي بابوشي) في ١٧ كانون الأول ١٩٥٨ (لو كان الله موجوداً لما سمح أن ننبذ الدين) .

* نشرت صحيفة العلم الأحمر بتاريخ ١ آذار ١٩٥٩ (من الطبيعي أن الصراع بين الإلحاد والإيمان بالله لم ينته بعد ، ولا بد من توجيه الجماهير نحو استئصال جذور الإيمان بالخرافات والجن والآلهة بصورة أعمق مما حدث حتى الآن) .

* وفي برنامج المؤتمر السادس الدولي الشيوعي الذي انعقد في سنة ١٩٢٨ ما يأتي : (الحرب ضد الدين – أفيون الشعوب – تشغل مكاناً هاماً بين أعمال الثورة الثقافية ، ويلزم أن تستمر هذه الحرب بإصرار وبطريقة منظمة) .

وقد روى فريق من المسلمين اللاجئين من الاتحاد السوفياتي قصصاً مثيرة عن حوادث التعذيب والتجويع والتقتيل التي عانوا منها الأمرّين على أيدي السوفييت .. وهم يقولون إن عدد مسلمي الاتحاد السوفياتي انخفض خلال الثلاثين سنة الماضية إلى النصف أو أكثر .. ويروون أن السوفييت انتهكوا حرمة المساجد ، وأعدموا مئات الألوف من المسلمين ، وأرسلوا آخرين إلى معسكرات الاعتقال في سيبريا للقضاء على الإسلام في الإتحاد السوفياتي ..

ولن ينسى المسلمون ولا ذراريهم ، ذلك المؤتمر الإسلامي

الذي انعقد في خوقند سنة ١٩١٧ ، أي في أوائل الثورة الشيوعية ليطالب بالحكم الذاتي لتركستان . فإذا بالجنود الشيوعيين يغيرون على المدينة غارة وحشية إجرامية ، ويقتلون آلافاً من المسلمين ويهدمون بيوتهم ، ويصادرون أملاكهم وأموالهم ، وتقع بعد ذلك المجاعة البشعه التي مات فيها عدد لا يحصى من المسلمين ..

وقد قدرت المصادر الروسية نفسها عدد ضحايا الحكم السوفياتي من المسلمين فيما بين سنتي ١٩١٧ - ١٩١٨ بمليون مسلم [١] ؟؟

المادية التاريخية :

المادية التاريخية هي المبدأ الثاني من المبادىء التي تقوم عليها الماركسية .. وهي النظرة التي تدعي بأن تاريخ الإنسانية ليس سوى مجموعة أعمال وأحداث بشرية كملت وقامت بدوافع مادية بحتة ؟

يقول ماركس (ليست الأفكار - كما يتردد ذلك أكثر الأحيان - هي التي تقود العالم ، بل إن هذه الأفكار ذاتها تتعلق كذلك بالشروط الاقتصادية .. ومعنى هذا أنها تتعلق بالمادة

---

(١) حقيقة الشيوعية (صفحة ١٨٦-١٩٨) .

التي تفسر التاريخ في نهاية الأمر .. إن الاقتصاد الذي يشمل مجموع الجهود الإنسانية في سبيل امتلاك المادة واستخدامها ، إنما يشكل البنية الأساسية للعلاقات الإنسانية في حين أن المذاهب الفكرية ليست إلا بنية فوقية) .

والتصويب المنطقي الذي لفت الإسلام الفكر الإنساني إليه في تصور أسباب التطور ، أقرّ به (هيغل) في فجر القرن التاسع عشر إقراراً عفوياً حين لم يعتبر الفكر نتاجاً للمادة وانعكاساً لحركتها في دماغ الإنسان ، وإنما اعتبر الفكرة المطلقة (الله) صانعة المادةوخالقتها. وهذا ما دفع ماركس إلى أن يهاجم فلسفة هيغل بقوة ، فيقول في كتابه (رأس المال) : (إن الطريقة الديالكيتيكية لا تختلف عن الطريقة الهيغلية من حيث الأساس فحسب بل هي ضدها تماماً . فحركة الفكر ليست سوى انعكاس الحركة الواقعية (المادية) منقولة إلى دماغ الإنسان ومستقرة فيه) .

والنظرية الشيوعية في تفسيرها المغلوط لأسباب النشوء والتطور تجنح إلى إخضاع الإسلام نفسه لمقاييسها العرجاء . يقول ماركس وإنجلز (إن الإسلام كغيره من الأديان ظاهرة تاريخية خاضعة للتطور ومحدودة بالزمن . وظهور الإسلام قائم على أسباب تاريخية واضحة لا تحمل في طياتها أي عنصر غريب أو عجيب) .

فإذا سلمنا أن اختفاء القديم ونشوء الجديد هما قانون التطور المادي المجرد من كل العوامل الغيبية والبواعث الفكرية والوجدانية والخلقية كما تقول بذلك الشيوعية [1] وإن الشيوعية ستحل محل الرأسمالية ، فمعنى هذا أيضاً أن نظاماً آخر سيحل محل الشيوعية في حينه تبعاً للنظرية الدياليكتيكية نفسها ؟

إنه مما لا شك فيه أن العالَم في تطور دائم وتغير مستمر ، لا يكاد ينتهي في طور حتى ينتهي إلى صيرورة ، وهكذا حتى تنطفىء آخر شعلة للحياة في الكون ويرث الله الأرض ومن عليها.

ونظرة الإسلام إلى الحياة تسلم بوجود هذا التطور الدائم والتغيير المستمر .. والتطور المنهجي في دعوات الأنبياء منذ الخليقة الأولى حتى الإسلام دليل واضح على التطور الحتمي في حياة البشرية .. كل هذا مما يقرره الإسلام ويثبته ويشير إلى

---

(١) يقول ستالين في كتابه (المادية الدياليكتيكية) : اذا صح أن العالم يتحرك ويتطور دائماً وأبداً..واذا صح أن اختفاء القديم ونشوء الجديد هما قانون التطور .. أصبح من الواضح أن ليست هناك أنظمة اجتماعية ثابتة غير قابلة للتغيير ، ولا مبادىء أبدية للملكية الخاصة والاستثمار . وليست هناك أفكار أبدية عن خضوع الفلاحين لكبار ملاكي الأرض والعمال للرأسماليين وبالتالي يمكن أن يحل النظام الاشتراكي محل النظام الرأسمالي كما حل النظام الرأسمالي في حينه محل النظام الاقطاعي) .

أسبابه ويعلق على نتائجه .. لكن الإسلام لا يذهب مذهب الشيوعية في تفسيرها المادي لهذا التطور ، بـــل يجعل للقوى (الغيبية) وللقدرات (الفكرية) وللبواعث (الأخلاقيـة) وللمنافسات (المناقبية) الحساب الأقوى والأكبر في تحقيق هذا التطور ..

فالإسلام والشيوعية وإن اتفقا شكلاً على حتمية التطور ، لكنهما اختلفا أصلاً على أسباب وبواعث هذا التطور فبينما يؤمن الإسلام بإلـه لهذا الكون يصرف فيه كل أمر حسب قانون ارتضاه لعباده، تنكر الشيوعية من ناحية ثانية وجود أي إله لهذا الكون، كما تنكر أي دور لعبه الأنبياء والرسل في عمليـة التطور البشري .. ولقد علق لينين على هيرقليطس الفيلسوف اليوناني حينما قال : (إن العالم لم يخلقه أي إله أو إنسان ،وقد كان ولا يزال وسيكون شعلة حية إلى الأبد تشتعل وتنطفـىء تبعاً لقوانين معينة) قال لينين : يا له من شرح رائع لمبـادىء المادية الديالكتيكية ؟

فالشيوعية تعارض ما تسميه بالمثالية الفلسفية (أي النظرة الغيبية للوجود) من حيث الأساس وعلى خط مستقيم ، وتتميز بالخطوط الأساسية التالية :

أولاً : خلافاً (للمثالية) التي تعتبر العالم تجسداً (للفكرة

المطلقة) أو (العقل الكلي) أو (للوعي) تسير مادية ماركس الفلسفية على المبدأ القائل إن العالم بطبيعته مادي ، وإن حوادث العالم المتعددة هي مظاهر مختلفة للمادة المتحركة . وإن العلاقات المتبادلة بين الحوادث ، وتكييف بعضها بعضاً بصورة متبادلة كما تقررها الطريقة الدياليكتيكية هي قوانين ضرورية لتطور المادة المتحركة ، وإن العالم يتطور تبعاً لقوانين حركة المادة ، وهو ليس بحاجة إلى (عقل كلي) .

ثانياً : خلافاً (للمثالية) التي تؤكد أن شعورنا وحده هو الموجود واقعياً ، وأن العالم المادي والكائن والطبيعة لا توجد في إدراكنا وإحساساتنا وتخيلاتنا وتصوراتنا . تقوم المادية الفلسفية الماركسية على مبدأ آخر وهي أن المادة والطبيعة والكائن هي حقيقة موضوعية موجودة خارج الإدراك وبصورة مستقلة عنه ، وأن المادة هو عنصر أول لأنها منبع الإحساسات والتصورات والإدراك ، بينما الإدراك هو عنصر ثان مشتق ، لأنه انعكاس المادة انعكاس الكائن . وإن الفكر وهو نتاج المادة لما بلغت في تطورها درجة عالية من الكمال .

ثالثاً : خلافاً (للمثالية) التي تنكر إمكان معرفة العلم وقوانينه ولا تؤمن بقيمة معارفنا ، ولا تعترف بالحقيقة الموضوعية وتعتبر أن العالم مملوء بـ (أشياء قائمة بذاتها) ولن يتوصل العلم أبداً إلى معرفتها . تقوم المادية الفلسفية الماركسية على المبدأ

القائل إنه من الممكن تماماً معرفة العالم وقوانينه ، وأن معرفتنا لقوانين الطبيعة ، تلك المعرفة التي يجري اختبارهـــا بالعمل والتجربة هي معرفة ذات قيمة ، ولها معنى حقيقة موضوعية ، وأن ليس في العالم أشياء لا تمكن معرفتها ، وإنما فيه أشياء لا تزال مجهولة بعد ، وهي ستُكشف وتصبح معروفة بوسائل العلم والعمل) [1]

وبذلك تكون الشيوعية بتفسيرها المادي للتاريخ قد هبطت بقيمة الإنسان إلى مستوى الحيوانية ، وجردته من كل القـــيم والفضائل والخصائص الإنسانية ، وهذا بدون شك مرفوض من الإسلام لأنه (أي الإسلام) كرم الإنسان ، وجعل حياته مسرحاً للتنافس على الحق وإشاعته وتحقيقه بين الناس . .

وفي نظري أن (الكنيسة) في أوربا تتحمل مسؤولية ردة الفعل هذه التي أصابت التفكير البشري بداء العداء للدين – كل دين – وفي بروز كل اتجاه مادي متطرف يكفر بالقيم الروحية ويعتبر الدين أفيوناً للشعوب أو عدواً للعلم والتقدم . . والشيوعية إحدى هذه الثمار التي تسببها خروج الدين في أوربا عن الإطار الأصيل للمسيحية ، وسوء استغلالهم السلطات الزمنية .

والإسلام كدين حين يتعرض اليوم لكثير من المظـــان من

---

(١) المادية الديالكتيكية صفحة ٢١ – ٢٧ .

مختلف الاتجاهات المادية فبجريرة مـــا ارتكبته الكنيسة من أخطاء شوهت كل فكرة دينية على الإطلاق .

فالمثالية التي تقصدها الشيوعية إنما هي المثالية الفلسفية التي اعتمدتهـــا الكنيسة لانتزاع السلطة الزمنيـة من الحـــكام وبسط النفوذ الاكليري وإحكام السيطرة الروحية ومحاربـــة العلم والعلماء .

أما مثالية الإسلام فإنهـا لم تعن بالروح على حساب الجسد والمادة ، وإنما برزت مثالية الإسلام في خطة محكمة قوامهـــا صياغة الإنسان في نزعتيه الروحية والمادية صياغة قويمة معتدلة لا تفريط فيها ولا إفراط .. كذلك كانت مثالية الإسلام غاية في التوافق مع العلم والمعرفة والدعوة إليها والحض على الاستزادة منها .. هذا فضلاً عن أن محتوى النصرانية غير محتوى الإسلام كما ورد تفصيل ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

الشيوعية قرين الصهيونية :

إن الممعن في دراسة طبيعة وخصائص وأهداف الحركتين الصهيونية والشيوعية يلمس بوضوح العلاقة الوثيقة القائمة بـــين هاتين الحركتين ، ويبدو له بجلاء القاسم المشترك بينهما سواء في الخصائص أو في الأهداف ؟

(١) سيادة العالم

النقطة الأولى من نقاط الالتقاء بين الشيوعية والصهيونية تبدو في نزعة السيادة على العالم واستغلاله وتسخيره لمصالحها .

فالشيوعية تهدف إلى غزو العالم والسيطرة عليه . وقد كشفت الشيوعية عن هذا الغرض من ظهور بيان ماركس وإنجلز المشهور في تاريخ الشيوعية .. يقول ماركس (أمامكم العالم وعليكم أن تكسبوه) .

كذلك طغت فكرة السيطرة على العالم منذ زمن بعيد على العقلية اليهودية ودونها اليهود في قوانينهم السرية ، لاعتقادهم بأنهم شعب الله المختار ، وأن بقية الناس فقد خلقوا ليسخروا في خدمة بني إسرائيل ؟

جاء في البروتوكول الخامس من بروتوكولات حكماء صهيون : (أننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض . وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل ، وسنضع موضع الحكومات القائمة مارداً (Monstor) يسمى إدارة الحكومة العليا :

(Adminstration of the supergovernment)

وستمتد أيديه كالمخالب الطويلة المدى ، وتحت إمرته سيكون له نظام يستحيل معه أن يفشل في إخضاع كل الأقطار) .

(٢) نشر الإلحـــاد

يلاحظ القارىء أن علماء اليهود كذلك يعملون ما في وسعهم لهدم الأديان عن طريق استحداث المذاهب السياسية والفكرية كالشيوعية والوجودية والمـــاسونية ومذهب التطوروالسريالية ويقومون على دراسة علم الأديان المقارن لغاية نشر الإلحـــاد ونسف الإيمان من النفوس . جاء في البروتوكول الرابع عشر (ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمـــان . وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين ، فلن يدخل هذا في موضوعنا ، ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة الـــتي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا بعقيدتـه الصارمة واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا [١] .

(٣) التوسل بالعنف

والملاحظ – كذلك – أن الشيوعية تلتقي مـــع الصهيونية في التوسل بالعنف والقسوة والوحشية لإقامة سلطانها ؟

يقول ستالين ، (إنكم لا تستطيعون الهرب من الكوارث

---

(١) الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون لمحمد خليفة التونسي صفحة ١٨٤ .

الطبيعية كالزلازل والعواصف التي تقتل الملايين ، فتقبلونها صاغرين ، فكيف لا تقبلون عمليات التطهير التي تقوم بها السلطات الشيوعية للحفاظ على هذا المبدأ الذي سيقدم إليكم الخير ..)

كذلك يقول البروتوكول الصهيوني الأول (يجب أن يكون شعارنا « كل وسائل العنف والخديعة » . إن القوة المحضة هي المنتصرة في السياسة ، وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة . يجب أن يكون العنف هو الأساس) كما يقول البروتوكول السابع : (وبإيجاز ، من أجل أن نظهر استعبادنا لجميع الحكومات الأممية في أوربا ، سوف نبين قوتنا لواحدة منها ، متوسلين بجرائم العنف . وذلك هو ما يقال له حكم الإرهاب . وإذا اتفقوا جميعاً ضدنا ، فعندئذ سنجيبهم بالمدافع الأميركية أو الصينية أو اليابانية) .

(٤) التوسل بالخداع وبجميع الوسائل المناهضة للأخلاق

وكما أن الشيوعية تبارك كل أنواع الخداع والغش والاحتيال في سبيل تحقيق المبادىء الشيوعية ، يقول لينين : (يجب على المناضل الشيوعي أن يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش

والتضليل . فالكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية . يجب أن يكون مفهوماً أن الشيوعية غايــة نبيلة ، وأن تحقيق الغاية النبيلة يتطلب في كثير من الأحيان استخدام وسائل غير نبيلة . ولهذا فإن الشيوعية تبارك شتى الوسائـــل المناهضة للأخلاق ما دامت هذه الوسائل تساعد عـــلى تحقيق أهدافنا الشيوعية) .

كذلك تفعل الصهيونية حين تقول في البروتوكول الأول : (ويتحتم أن يكون ماكراً خداعاً حكم تلك الحكومات الــتي تأبى أن تداس تيجانها تحت أقــدام وكلاء (Agent) قوة جديدة . إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هــدف الخير . ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في أعمــال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا) ويقول الدكتور أوسكار ليفي (نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه) .

(٥) تعاطف الحركتين

إن التعاطف العقائدي بين الماركسية الدولية والصهيونية العالمية والذي تحول إلى تعاطف سياسي بين اليسار وإسرائيل هو من الأدلة التي تساق في هذا المجال أيضاً ..

هذا الكلام نحن لا نقوله افتئاتاً ، وإنما نقرر به أمراً بات

يقينياً ، أكدته مئات الشواهد والمواقف القطعية : فبتاريخ ٢٢ حزيران ١٩٦٤ أدلى الملحق العسكري السوفياتي في باريس لمراسل صحيفة (معاريف) بتصريح طويل نقتطف منه المقاطع التالية : (لقد أعربنا عن تأييدنا لإسرائيل بالسلاح والعتاد والرجال في أقسى ظروف الأزمة الفلسطينية . فما قدمناه ونقدمه للبلاد العربية من سلاح هو لأغراض دفاعية ولمكافحة الرجعية العربية فقط . ولا يمكن أن نسمح باستعماله للعدوان على إسرائيل فنحن نريد سلامة إسرائيل ، بل نعمل من أجل سلامتها . . ثم هل تظنون أننا جاهلون لأهمية إسرائيل بالنسبة إلينا ؟ وهل تظنوننا لا نعلم ما هو نوع الحكم الاشتراكي السليم الذي تبنونه في إسرائيل بأيديكم ؟ وهل من المعقول أن نكون طرفاً في هدم التجربه الاشتراكية التي حققتها إسرائيل ؟ وهل تظنون أننا مهملون أهمية الوجود الإسرائيلي في الشرق الأوسط ، تلك المنطقة المهمة ؟ اطمئنوا . . اطمئنوا . . إن الاتحاد السوفياتي مع إسرائيل ، وسيؤيدها اليوم وغداً كما أيدها ورعاها بالأمس . ونحن نرعى الاشتراكية العربية لأن في ذلك تعزيزاً لمصلحه إسرائيل أيضاً ؟؟)

وبتاريخ الرابع عشر من شباط سنة ١٩٦٥ نشرت صحيفة (ها ارتس) الإسرائيلية تصريحاً للمستشار الأول في السفارة السوفياتية في إسرائيل نقتطف منه ما يلي : (لم نقدم السلاح

لبعض الدول العربية إلا بما يكفي لحاجات الدفاع لا الهجوم وعلى الشعب في إسرائيل أن يتذكر أن الاتحاد السوفياتي كان أول من دعا إلى حظر توريد السلاح إلى الشرق العربي عـــام ١٩٥٧ ونحن مستعدون لحظر السلاح عن المنطقة العربية .. لكن حركات التحرير اليسارية في العـــالم العربي تحتاج إلى السلاح لتكافح الرجعية العربية وتقضي عليها وعلى كل من يساعدها . إن القضاء على الرجعية العربية سيزيل خطر العدوان العربي على اسرائيل ، لأن الأنظمة والحركات التقدمية اليسارية في البلاد العربية لا تريد العدوان على إسرائيل ..)

وبتاريخ الخامس عشر من شباط من عام ١٩٦٨ ألقـــى ألكسي كوسيغن خطاباً في مدينة (مدينسك) السوفياتية جاء فيه : (نحن لسنا أنصار حرب جديدة في الشرق الأوسط ، بل على العكس، نريد سلاماً مستقراً في المنطقة ، وهناك بعض الدول العربية تؤيد هذا الموقف . إننا نرفض تصفية إسرائيل ، بـــل نؤيد استمرار إسرائيل كدولة) .

(٦) شواهد أخرى

ولم يكن من قبيل المصادفة أن زعيم الشيوعيـــة الأكبر وواضع أسسها هو الحبر الأعظم (كارل ماركس) اليهودي

المتعصب؟ وأن أنصار الشيوعية في العالم معظمهم أنصار الصهيونية .. وأن المجلس الذي حكم روسيا بعد الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ كان بينهم ستة يهود من أصل عشرة أعضاء .. وأن صهر (ستالين) (وبريا) الذي كان رئيساً للشرطة السرية ، (وشفرنك) رئيس جلسات مجلس السوفيات الأعلى ، (والبا اهرنبرخ) لسان حال الكرملين وداعيته المشهور ، كلهم يهود ؟

وإذا أضفنا إلى ذلك ما نشرته مجلة (أفريكان هيبرو) في عددها الصادر يوم ١٠ سبتمبر عام ١٩٢٠ وهي من كبرى المجلات اليهودية (إن الثورة الشيوعية في روسيا كانت من تصميم اليهود ، وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون إلى خلق نظام جديد للعالم ، وإن ما تحقق في روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التي خلقت الشيوعية في العالم ، ونتيجة لتدبير اليهود ، ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم)[١] .

يتأكد لنا بما لا يحتمل الشك أن الشيوعية ربيبة الصهيونية العالمية ، وهذا ما نطقت به فقرة من فقرات البرتوكول الثالث لحكماء صهيون حيث تقول : (إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال ، جئنا لنحررهم من هذا الظلم ، حينما ننصحهم

(١) راجع كتاب حقيقة الشيوعية لمجموعة من الكتاب المصريين .

بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين . ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للانسانية . وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية ..)

الشيوعية خيانة عظمى وقرين الاستعمار :

وأما أن الشيوعية خيانة عظمى وقرين للاستعمار فلأن الإرتباط بها والانتماء إليها إنما هو في الحقيقة إرتباط بكيان أجنبي يضع (المصلحة الشيوعية) فوق المصلحة الوطنية والعربية والإسلامية . وهو بالتالي تكريس لاستعمار جديد تتزعمه (موسكو أوبكين) عوضاً عن (لندن وواشنطن) . وهو خروج من منطقة النفوذ (الأنكلو أميركي) إلى منطقة النفوذ (البلشفي الصيني ؟)

جاء في البيان الشيوعي (ليس للعمال وطن – يا صعاليك العالم اتحدوا) .. وجاء في محاضرة لستالين ألقاها في موسكو عام ١٩٢٤ : (أن من واجب الشيوعي في كل الأحوال أن يناضل ضد الوطنية الضيقة وأن لا يحصر نفسه في حركته المحدودة الأفق)[1] ويقول (جورج بتروف)(الاتحاد السوفياتي هو الوطن الكبير لعمال العالم أجمع).وكتب ماركس(إن العمال في أكثريتهم الساحقة منزهون عن الأوهام القومية ، لأن ثقافتهم

(١) القضية الوطنية – تأليف ستالين صفحة ٣٨ .

وحضارتهم في الجوهر إنسانيتان ومعاديتان للقومية)[1].

في ضوء هذه الحقائق يتأكد – بما لا يحتمل الشك – أن الشيوعية خيانة عظمى وقرين الاستعمار وتبعية للون جديد من ألوان الاستعمار..وأن المصلحة الشيوعية التي يقدرها(الكرملين) هي عند الشيوعيين فوق كل مصلحة ؟؟

جرثومة فناء الشيوعية :

إن نظرة فاحصة عميقة إلى النزاع القائم في دول المعسكر الشيوعي يمكن أن تكون كافية للتأكيد على أن طور الإنحدار والإنهيار في الفلسفة الماركسية قد بدأ ، وإن الفكر الشيوعي يعاني أزمة مصيرية حادة قد لا يخرج منها إلا وقد دكت أصوله وقواعده ولفظ نفسه الأخير .

في أيلول عام ١٩٦١ نشرت جريدة (برافدا) الناطقة بلسان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي مشروع برنامج جديد للحزب يؤكد للمرة (الثالثة) خروج الحزب على المبادىء الأساسية للماركسية . فقد تضمن المشروع فكرة إلغاء النهج الثوري الذي تعتمده الشيوعيه في هدم الكيان الرأسمالي وبناء المجتمع الشيوعي ، والذي نصت عليه الفقرة التالية : (وبالتالي فإن الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية وتحرير

---

(١) القومية العربية – تأليف عفلق والبيطار صفحة ٣٥ .

الطبقة العاملة من النير الرأسمالي ، يمكن تحقيقهـــا لا بتغييرات بطيئة ، ولا بإصلاحات ، بل بتغيير كيفي للنظام الرأسمـــالي فقط ، أي بالثورة) [1] .

وهذا ما جعل - بكين وموسكو - مسرحاً لمنازعات دموية حادة ، لإصرار الحزب الشيوعي الصيني الذي يتزعمه (ماوتسي تونغ) على تنفيذ مبدأ (الحرب الحتمية) بـــين الشيوعية والرأسمالية .

وفضلاً عن جنوح المنهج الجديد عن فلـــك النظام الأساسي للحزب الشيوعي ، فقد أكد من خلال تعهده بتحقيق المجتمـع الشيوعي خلال العشرين سنة المقبلة ، على فشل الشيوعية خلال الأربعين سنة الماضية في خلق الأساس المادي والتكنيكي للمجتمع الشيوعي . وهذا يعني أن الشيوعية كفكرة تفقد القدرة على ما يسمونه بالحتمية التاريخيـــة في الانتقال من الرأسمـــالية إلى الاشتراكية . ويعود هذا العجز أساساً إلى أن الشيوعية لا ترتكز على أصول وقواعد عامة قابلة لاستيعاب مشاكل الحياة المتجددة المتعقدة ، مما عرضها إلى كثير من التعديل والتغيير الجذريين في أصولها المنهجية والفكرية في أقل من ربـع قرن .

فمبدأ محو (الملكية الفردية) عدل عنـــه إلى حل وسط ،

---

(١) المادية الدياليكتيكية صفحة ٢٥ .

وهو الاحتفاظ للدولة بالصناعات الثقيلة والتجارة الخــــارجية والمصارف والمشاريـع العامة ، وترك الصناعات الصغيرة والتجارة الوسطى للسعي الفردي .

كذلك عدل عن مبدأ (توزيـع السلع الاستهلاكية) فبدل أن كانت القاعدة (من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته) أصبحت كما نص عليها الدستور السوفياتي المعدل عــــام ١٩٣٦ (من كل حسب قدرته ولكل حسب ما يؤديه من عمل ، ومن لا عمل له ليس له الحق أن يأكل) ومرة ثالثة جاء المشروع الجديد عام ١٩٦١ يشير إلى أن الاتحاد السوفياتي سيطبق خلال العشر سنوات الواقعة بين (١٩٧١-١٩٨٠) مبـدأ التوزيع حسب الحاجة) وبذلك يتراجع الحزب الشيوعي مرة أخرى عن تعديل عام ١٩٣٦ .

ومن الأمثلة الحسية التي تساق على اضطراب معايـير النهج الشيوعي ، إلغاء المزارع الحكومية المعروفة باسم (السوفوكوز) بعد أن ظهر فشلها ، وبعد أن كلفت الحكومة مبالغ طائلة من المال . بالإضافه إلى التعديلات الأخرى التي أجريت على المؤسسات الزراعية المعروفة باسم (الكلوكوز) .

والحقيقة أن الفكر الشيوعي من يوم ولد كان في وضـــع لا يسمح له بالحياة والاستمرار إلا بمقدار ما تحميه القوة التي يمتلكها

هذه الحقيقة أفصحت عن نفسها في كثير من مواقف التأديب

والعنف التي وقفها (الكرملين) من عدد من البلدان الاشتراكية في شرقي أوربا ، بدعوى خروجها على الخطوط الأساسية (للايديولوجية الشيوعية) .

فلقد هز الكرملين في السابق عصاه في وجه (اولبرخت) و (غومولكا) و (المجريين) و (الصينيين) . . ومن عهد قريب اجتاحت جيوشه العاصمة التشيكية لتأديب من يعتبر أنهم شقوا عصا الطاعة عليه وصبئوا عن (دين) ماركس ولينين ؟

وإن أشد ما يخشاه (الكرملين) ويخافه أن يفلت الزمام من يده ، وتخرج عن طاعته دول الكتلة الشيوعية دولة فدولة لا سيا وقد سبق أن أفلتت من قبضته كل من (يوغسلافيا ورومانيا) .

والذي يهمنا هنا وفي هذا المقام هو الإشارة إلى أن العامل الأساسي الكامن وراء الأزمات الحادة والمنازعات المتصاعدة بين البلدان الاشتراكية هو أن (الفلسفة الماركسية) كغيرها من المبادىء (الوضعية) خاضعة للتفسيرات والتصورات الشخصية لزعماء الحركة الشيوعية ، وهذا ما جعلها تدور خلال نصف قرن من الزمن في دولمة مفرغة من التأويلات الجدلية المتناقضة ، مما أدى إلى انفراط وحدة الحركة الفكري وإلى نشوء مدارس متعددة للفكر الشيوعي (كاللينينية – والستالينية –

والتروتسكية – والكاسترويـة – والماوتسية .. الخ ..)

إن بشرية (الفلسفة الماركسية) جعلها تفقد عنصر ديمومتها وبقائها ، وجعلها تفقد القدرة على مواجهة مشاكل الحياة ، كما جعلها تصطدم بكثير من المبادىء الفطرية وتخرج عن الحقائق الكونية الثابتة ..

وحين فشلت (الثورة البلشفية الشيوعية الحمراء) في تحقيق الغاية من قيامها ، وغدت (الجنة الموعودة) سجناً رهيباً لا يطاق، وحياة ضنكاً ملؤها البؤس والشقاء .. وغدا (السلام والعدالة) شعارات حمراء ملطخة بالدماء ، شأنها شأن الشعارات الكاذبة المزيفة التي يرفعها (الغرب) لإخفاء حقيقته وتغطية جرائمه وخداع الرأي العام العالمي .. عند ذلك بدأ التشقق في (الجسم الشيوعي) وانفجرت في أنحائه القروح وعمت أجزاءه الجيوب والجروح .. وهذه هي النهاية المنتظرة والمصير المحتوم لكل الاتجاهات المادية والأنظمة الوضعية والفلسفات البشرية .

إنه تأكيد على عجز الإنسان وقصوره وحاجته الملحة إلى هدى الله وإلى شرع الله . «ياأيُّها النّاسُ ضُربَ مثلٌ فاستمعوا له: إنّ الذين تدعونَ مِنْ دونِ اللهِ لنْ يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلُبْهمُ الذبابُ شيئاً لا يستَنقذوه منهُ ، ضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ. ما قَدَرُوا اللهَ حقّ قدرِهِ إنّ اللهَ لقويٌّ عزيزٌ » .

مراجع البحث

* أصول الفلسفة الماركسية .
* المادية الدياليكتيكية .
* البيان الشيوعي .
* هذه هي الدياليكتيكية – بول فولكييه .
* اعرف مذهبك ـ لمارتين دودج .
* ماركس والخلق – لطلال الجرجس .
* الشيوعية والديمقراطية ـ ابراهيم حداد .
* حقائق عن الشيوعية ـ محمد منير لطفي .
* حقيقة الشيوعية – لمجموعة من الكتاب .
* الخطر اليهودي ـ محمد خليفة التونسي .
* نقض الاشتراكية الماركسية ـ غانم عبده .
* الاسلام في نظر الشيوعية والشيوعيين ـ ابن حمدون
* نهضة الشيوعية الحديثة ـ ماسيمو سلفادوري .
* تأملات في فشل الاشتراكية ـ ماكس ايستمان .
* أسس اللينينية ـ ستالين .

الرأسمالية

* معنى الرأسمالية .
* قانون البحث عن الربح .
* قانون المزاحمة .
* قانون التمركز على الانتاج وحصره
* قانون السعر المخفض .
* حكم الاسلام في الرأسمالية .



لا تعتبر الرأسمالية مذهباً تعتمده الحكومات بل هي نظام اقتصادي يقوم على أساس تملك الأفراد والشركات لكل وسائل الانتاج ..

يرى (فرنسوا كيناي) أحد فلاسفة الفكر الرأسمالي « أنه يجب أن يكون الأفراد أحراراً في العمل، وأن يسيروا وفق مصالحهم الخاصة ، وأن يسمح لهم بمزاولة المهن التي يختارونها وأن تترك لهم حرية الانتقال وحرية اجتناء الثروات وحرية التصرف في ممتلكاتهم كما يرغبون ، ولا يجوز أبداً للدولة أن تتدخل في نشاطاتهم » .

ويمكننا أن نلخص أبرز الظواهر التي يتمخض عنها النظام الرأسمالي بما يلي :

أولاً – تملك الأفراد للأرض ولرؤوس الأموال ولمنابع الثروات .

ثانياً – تكالب الأفراد في الحصول على الأرباح وابتكار شتى المشروعات والطرق التي تؤدي إلى ذلك سواء كانت مشروعات وطرقاً مشروعة أم غير مشروعة .

ثالثاً – العمل على نشر التجارة في أنحاء العالم وما يحققه ذلك

من بسط سلطان النفوذ المالي والسياسي على المؤسسات الاقتصادية والحكومية بما يحقق مصالح الدول والمؤسسات الرأسمالية .

ما هي الرأسمالية ؟

يقول الأستاذ أحمد الشبياني في كتابه (دراسات في العقائد) تحت هذا العنوان [أرى أن الرأسمالية هي المخطط الكامل الذي ابتدعته السلبية في العقل البشري لتنظيم وإدارة وتوجيه الغريزة البشرية في أحط أدوارها الهمجية . لذلك أعتبر الرأسمالية هي الحيوانية التي ينظمها العقل ، إذ أنها تمثل طمعاً واعياً ونهماً يقظاً يعرف أهدافه ويعرف الوسائل التي يسلكها إليها ، وشراهة تتغذى بالواقع وتهتدي بنور العقل ، وأثرة ضيقة خانقة . إنها في اختصار أرقى الدرجات التي وصل إليها « العقل الحيواني » في الإنسان ..

ففي ظل النظام الرأسمالي تنعدم حتى الفضائل القليلة التي عرفها مجتمع الاقطاع فضائل النخوة والشهامة والفروسية . . لذلك يبلغ في النظام الرأسمالي الصراع بين « العقل الحيواني » و « العقل الإنساني » في الانسان ذروته . ويتخذ المجتمع من الغابة مظهرها وجوهرها ، فلا حياة إلا للأقوى ، ولا وجود للضعيف .

أما أم الفضائل ومنبعها في ظل النظام الرأسمالي فهي الربح

الربح بأي وسيلة وسبب . والرأسمالية كما سنرى فيما يأتي من بحث لا تتغذى من دماء الشعب فحسب ، بل إنما يلتهم الرأسماليون بعضهم بعضاً أيضاً .

وللرأسمالية قوانين رهيبة تسير بموجبها وتطبقها على كل نشاطاتها . وهذه القوانين الرهيبة هي :

١ – قانون البحث عن الربح .

٢ – قانون المزاحمة والمنافسة .

٣ – قانو التمركز والقدرة على الانتاج وحصره .

٤ – قانون السعر المخفض .

وسنتناول الآن كل قانون من هذه القوانين على حدة .

١ – قانون البحث عن الربح :

إن هذا القانون يشكل التعارض الجوهري بين النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي . . فالنظام الاشتراكي يحصر غاياته الاقتصادية في سد احتياجات البشر ، بينما يوجه النظام الرأسمالي الاقتصاد نحو تحقيق الأرباح واختبائها وتكديسها في صناديق أصحاب المشروعات .

وتبدأ الرأسمالية أول ما تبدأ في تطبيق هذا القانون على المجتمع الذي تنشأ فيه وتنشط . ويكون أول ضحايا هذاالقانون

للعمال والمستهلكون ، إذ أنها تسعى أبداً إلى زيادة أرباحها على حساب الأجور .

ونحن إذا ما عدنا إلى المراحل الأولى من تطور الرأسمالية شاهدنا من الاستغلال البشع الذى كانت الرأسمالية تمارسه ضد العمال ، إذ كان هدفها الأساسي يتركز أولاً وأخيراً على ابتزاز أكبر قدر من الساعات الانتاجية من العمال لقاء أقل قدر ممكن للاجور ..

ووفق هذا القانون ، قانون البحث عن الربح ، يصبح العامل سلعة خاضعة لقانون العرض والطلب . فليس للاجور حد أدنى أو حد أعلى ، وإنما تقرر مستواها حاجة السوق الصناعية أولاً ومقدار عدد العمال ثانياً .

ويدفع قانون البحث عن الربح بالرأسماليين وبالدول الرأسمالية إلى التفتيش عن المرابح في كل قطر وبلد من أقطار العالم . وكلنا يذكر المآسي الإنسانية التي اقترفها ويقترفها الاستعمار بواسطة نفوذه المالي والتجاري في شتى أقطار الأرض ..

٢ – قانون المزاحمة :

قلت في مطلع البحث أن الرأسماليين لا يعيشون على دماء الطبقة العاملة ويتغذون بلحوم سكان المستعمرات فحسب ، بل إنهم يلتهمون بعضهم بعضاً أيضاً . فكل مشروع صناعي يجد في

مثيله من المشروعات الصناعية منافساً له ومزاحماً ، لذلك يسعى بكل ما أوتي من جهد لتصفية هذا المشروع والاستئثار بالزبائن والأسواق . وذلك كله حباً باجتناء الأرباح .

ونحن إذا ما أردنا أن نفتش عن أسباب جميع الحروب منذ أن عرف التنظيم الرأسمالي للمجتمع والدولة فإننا نرد أسباب كل حرب إلى هذا القانون — قانون المنافسة والمزاحمة .

٣ — قانون التمركز على الانتاج وحصره :

إن قانون المنافسة الذي يدفع بالشعوب والأمم الى خوض غمرات الحروب من الرأسمالية والرأسماليين ، يدفع أيضاً بالشركات إلى الاصطراع والصراع بعضها ضد بعض . إذ تحاول الشركات الكبرى تصفيه الشركات الصغيرة أو المتوسطة،وذلك إما عن طريق ابتلاعها بشراء أكثرية أسهمها ، أو عن طريق منافستها منافسة شديدة تؤدي بالتالي إلى إفلاس الشركات الصغيرة أو المتوسطة ومن ثم انهيارها كلياً .

وتلعب المصارف دوراً كبيراً في تحقيق أغراض الشركات الكبرى لتصفية الشركات الصغيرة أو المتوسطة. إذ أن المصارف تعمد في أوقات الأزمات إلى منع القروض عن الشركات الصغيرة أو المتوسطة ، وتقوم بمطالبة هذه الشركات بتسديد ما عليها من ديون ، وبهذا تدفع بها إلى الإفلاس والانهيار .

٤ - قانون السعر المنخفض :

يقول هذا القانون بالمحافظة على الأرباح مع إنمائها ، وذلك عن طريق التوسع الميكانيكي في الانتاج وتقليص اليد العاملة . أما ما ينشأ عن انخفاض في تكاليف السلعة عن طريق تقليص الأجور الناشىء عن الاستعاضة بالآ لة عن العمال ، فهو يؤدي إلى تخفيض سعر السلعة على مقادير الأرباح ، وبذلك يحافظ الرأسماليون على أرباحهم دون أن يؤثر تخفيض سعر السلعة على مقادير الأرباح التي تدخل عليهم ، وهذا كله بسبب أن المشكلة قد حلت عن طريق تقليص اليد العاملة ، وبالتالي الانحدار بالتكاليف عن طريق الاستغناء عن دفع الأجور لعمال حلت الآ لة محلهم .

حكم الاسلام في الرأسمالية :

إن النظام الرأسمالي يخالف الإسلام من وجوه عدة منها :

١ - إن الإسلام يرفض النظام الرأسمالي أساساً على اعتبار أنه نظام وضعي كما يرفض بالتالي سائر الأنظمة الوضعية .. ويعتبر أن (بشرية) النظم الوضعية سبب فشلها وجرثومة فنائها .. كما يعتبر أن كل نظام وضعي إنما هو تطاول على حق الله في التشريع ، وأن المنهج الوحيد الذي ختم به الرسالات والأديان جميعاً ، وأراده منهج حياة للبشرية في كافة العصور إنما هو

الإسلام (إن الدين عند الله الإسلام . ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) .

٢ - والنظام الرأسمالي حين يقوم على تكوين طبقة في المجتمع تستأثر بتداول المال واستثماره ، كما تستأثر بالنفوذ والسلطة إنما يكرس بذلك الطبقية والمظالم الاجتماعية . وهذا يخالف الإسلام الذي يؤمن بضرورة تقييد الملكية الفردية ومحاربة تكديس الثروات ، والذي يضع من التشاريع ما يضمن تفتيتها وتوزيعها على أفضل وجه . (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ..) (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) .

٣ - والنظام الرأسمالي حين يقوم على إطلاق الحرية الشخصية وإباحة الاحتكار ، إنما يعمل على إذكاء روح الأنانية الفردية في المجتمع . وهذا يصطدم بالإسلام الذي يحرص أول ما يحرص على تحقيق مصلحة الجماعة ويحرم الإضرار بالمصالح العامة والقاعدة في ذلك (لا ضرر ولا ضرار) .

ولذلك يحرم الإسلام الاحتكار واغتصاب حقوق الآخرين وأكل أموالهم بالباطل . وهو بالتالي يعطي الإنسان من الحرية ما يحفظ به التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .

٤ - والنظام الرأسمالي حين يقوم على إباحة (الربا) الذي

هو في الواقع علة العلل في كل ما يشكو منه العالم من اضطراب ومشاكل ، والذي يعتبر من النظام الرأسمالي (عموده الفقري) يخالف الإسلام الذي يحرم الربا تحريماً قطعياً . قال تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالو إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا) وقال (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وقال : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) .

٥ – وأخيراً فإن النظام الرأسمالي حين ينظر إلى الإنسان على أنه كائن مادي مجرد من الميول الروحية والأفكار الأخلاقية والغايات المعنوية ، وهو حين لا يبالي فيما يجب أن يكون عليه المجتمع من رفعة معنوية وسمو روحي وأخلاقي ، إنما يتساوى مع سائر المذاهب المادية الأخرى التي يرفضها الإسلام .

مراجع البحث

* اقتصادنا للسيد محمد باقر الصدر .
* أسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة للمودودي .
* الاسلام لا رأسمالية ولا اشتراكية ـ للبهي الخولي .
* هذه هي الرأسمالية ـ فرنسوا بيرو
* معركة الاسلام والرأسمالية ـ للشهيد سيد قطب .
* دراسات في العقائد ـ لأحمد الشيباني .
* النظام الاقتصادي في الاسلام ـ لتقي الدين النبهاني .
* الاسلام ونظم الحكم المعاصرة ـ لمحمد البهي .



الماسونية

* ما هي الماسونية ؟
* نشأة الماسونية .
* علاقتها بالحركة الصهيونية .
* موقفها من الدين .
* الماسونية والخلق .
* الماسونية تغزو الملوك والرؤساء .
* الماسونية تغزو الاكليروس .
* العبرية في الدرجات الماسونية .
* العبرية في الرموز الماسونية .

ما هي الماسونية ؟

الماسونية أو المصونية كما سماها البعض نسبة لصيانة الأسرار ، جمعية سرية قديمة لم تعرفها بلاد الإسلام إلا في العصور المتأخرة ، آخذة إياها عن البلاد الغربية من إفرنسية وإنكليزية وإيطالية وألمانية وغيرها ..

إن التوغل في تاريخ الماسونية يستلزم مجلدات ضخمة كلها مأخوذة عن كتب الغربيين .. أما إذا شاء الباحث التنقيب في كتب العرب وتواريخهم فلا يجد لها ذكراً ..

أما فيما كتبه المؤرخون المحدثون فهنالك طائفة من المؤلفات والكتب تعرضت للماسونية من جوانب مختلفة ، منها المؤيد ومنها المعارض .. وأذكر من هذه الكتب على سبيل المثال :

(تاريخ الماسونية العام) لجرجي زيدان (الآداب الماسونية) لشاهين مكاريوس (شيعة الماسونية) للآباء اليسوعيين (البناية الحرة وروح الماسونية) لأحمد زكي أبو شادي . وغيرها .

والذي يلفت النظر .. ويدعو إلى التساؤل وإمعان الفكر على الدوام أن مصطلحات الماسونية وكلماتها وإشاراتها ورموزها

وتعابيرها كلها تقريباً (عبرية اللغة) مما يدل على أن لليهود اليد الطولى في تأسيسها ..

نشأة الماسونية :

اختلف المؤرخون في منشأ هذه الحركه .. فمن قائل بحداثتها وإنها لم تدرك ما وراء القرن الثامن عشر الميلادي .. ومنهم من قال إنها انبثقت من جمعية الصليب الوردي التي تأسست عام ١٦١٦ ومنهم من أوصلها إلى الحروب الصليبية ..

وزعم آخرون انها من أيام اليونان القدماء في الجيل الثامن بعد الميلاد .. ومنهم من زعم أنها نشأت في هيكل سليمان .. ومنهم من أوصلها إلى الكهانة المصرية والهندية وغيرها . ومنهم من اشتط فقال إن مؤسسها سيدنا آدم عليه السلام . . والأبلغ من ذلك زعم بعضهم أن الله سبحانه وتعالى أسسها في جنة عدن وأن الجنة كانت أول محفل ماسوني ، وأن سيدنا ميكائيل رئيس الملائكة كان أول أستاذ أعظم فيه ، إلى غير ذلك من الهذر والهراء ..

والحقيقة أن الماسونية كانت ابتكاراً يهودياً يهدف إلى استقطاب القوى والامكانات اليهودية الموزعة في أنحاء المعمورة سعياً وراء غايتهم المنشودة وهى إعادة تأسيس مملكة إسرائيل واستئناف مجد يهوذا الزائل..

وإذا كانت المحافل الشرقية تجهل هذه الحقائق أو تتجاهلها فلقد أكدت الأحداث وقامت الأدلة بما لا يحتمل الشك على صلة هذه الحركة في الأساس بالحركة اليهودية ..

علاقتها باليهودية :

والدليل الذي لا يقبل الدحض ، على صلة اليهودية بالماسونية هذه الفقرات التي ننقلها من بروتوكولات حكماء صهيون : (وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة ، سنحاول أن ننشىء ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم ، وسنجذب إليها كل من يصير أو يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة (Public Spirit) هذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار كما أنها ستكون أفضل مراكز للدعاية .

وسوف نركز هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا ، وستتألف هذه القيادة من علمائنا وسيكون لهذه الخلايا ممثلوها الخصوصيون ، كي نحجب المكان الذي تقيم فيه قيادتنا الحقيقية . وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق في تعيين من يتكلم وفي رسم نظام اليوم . وفي هذه الخلايا سنضع الحبائل والمصائد لكل الاشتراكيين وطبقات المجتمع الثورية . وأن معظم الخطط السياسيه السرية معروفة لنا وسنهديها إلى تنفيذها

حالما تشكل .

وكل الوكلاء (Agente) في البوليس الدولي السري تقريباً سيكونون أعضاء في هذه الخلايا .

ولخدمات البوليس أهمية عظيمة لدينا ، لأنهم قادرون على أن يلقوا ستاراً على مشروعاتنا ، وأن يستنبطوا تفسيرات معقولة للضجر والسخط بين الطوائف ، وأن يعاقبوا أيضاً أولئك الذين يرفضون الخضوع لنا .

ومعظم الناس الذين يدخلون في الجمعيات مغامرون يرغبون أن يشقوا طريقهم في الحياه بأي كيفية ، وليسوا ميالين إلى الجد والعناء .

وبمثل هؤلاء الناس سيكون يسيراً علينا أن نتابع أغراضنا وأن نجعلهم يدفعون جهازنا إلى الحركة .

وحينما تبدأ المؤامرات خلال العالم فإن بدءها يعني أن واحداً من أشد وكلائنا إخلاصاً يقوم على رأس هذه المؤامرات . وليس إلا طبيعياً اننا كنا الشعب الوحيد الذي يوجه المشروعات الماسونية . ونحن الشعب الوحيد الذي يعرف أن يوجهها . ونعرف الهدف الأخير لكل عمل على حين أن الأميين (غير اليهود) جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونيه، ولا يستطيعون حتى رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون ..

والأميون يكثرون من التردد على الخلايا الماسونية عن فضول محض ، أو على أمل نيل نصيبهم من الأشياء الطيبة التي تجري فيها ، وبعضهم يغشاها أيضاً لأنه قادر عــلى الثرثرة بأفكاره الحمقاء أمام المحافل. الأميون (غير اليهود) يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان ونحن نوزعها جزافاً بلا تحفظ، ولذا نتركهم يظفرون بنجاحهم لكي نوجه لخدمة مصالحنا كل من تتملكهم مشاعر الغرور ومن يتشربون أفكارنا عن غفلة واثقين بصدق عصمتهم الشخصية . وأنتم لا تتصورون كيف يسهل دفع أمهر الأمميين إلى حالة مضحكة من السذاجة والغفلة بإثارة غروره وإعجابه بشخصه ، وكيف يسهل – من ناحية أخرى – ان تثبط شجاعته وعزيمته بأهون خيبة ولو بالسكوت ببساطة عن تهليل الاستحسان له ، وبذلك ندفعه إلى خضوع ذليل)[١].

● ويقول (هرتزل) أحد حكماء صهيون (إن المحافــل الماسونية المنتشرة في كل أنحاء العالم تعمل في غفـــلة – كقناع لأغراضنا – وإن النصارى المنحطين ليساعدوننا على استقلالنا ، وإن وكلاءنا – من غير اليهود – ليحققوا لنا كثيراً من السعادة) .

● ويقول أيضاً (الماسونية لا يفهمهـــا أولئك الخنازير – الماسون غير اليهود – ولذلك لا يرتابون في مقاصدها لقـــد أوقعناهم في محافلنا كي نذر الرماد في عيونهم) .

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون .

الاهداف القريبة للماسونية :

– الماسونية هي الجمعية التي تعمل في الخفاء للاستيلاء على العالم عن طريق بث أفكارها ، وإن غايتنا هي تطعيم أكبر مجموعة من الكتل البشرية بأفكارنا .. وإن تقبل أفكارنا يكون مبعثاً لارتياحنا (١) .

إن الماسونية هي سيدة الأحزاب السياسية لا خادمتها (٢)

– بعد عشر سنوات سوف تجعل الماسونية سير الأمور حسب مشيئتها دون أن تلاقي في طريقها مقاومه من أحد (٣) .

– إن الغاية من وجود الماسونية هي النضال ضد الجمعيات المستبدة المنتمية إلى الماضي،ولأجل هذه الغاية يقاتل الماسونيون في الصفوف الأولى ، لأنها هي المنظمة الوحيدة التي تناهض الأديان والقوميات والتقاليد (٤) .

الأهداف البعيدة للماسونية :

من أسرار اتحادنا هو تأسيس جمهورية ديمقراطية

---

(١) مؤتمر الشرق الأعظم الفرنسي سنة ١٩٢٣ ص ٣٤٩ .
(٢) Le Republcq Maconique 3 d 4/1882
(٣) نشرة الشرق الأعظم الفرنسي سنة ١٨٩٠ ص ٥٠٠ .
(٤) مجلة اكاسيا الماسونية الايطالية – سنة ١٩٠٤ ص ٢٥٦ .

عالمية خفية [1] .

إن غاية الماسونية كما أوضحتها قبل نصف قرن هي تأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية وهي بذلك تتخذ (الوصولية والنفعية) أساساً للاتحاد الماسوني [2] .

الماسونية والدين :

يلاحظ أن موقف الماسونية والدين لا يختلف عن موقف الاتجاهات المادية منه .. فهي تعمل على إشاعة (اللاتينية) اللادينية وتدعو إلى حرب الأديان بصورة عامة ..

ويبدو هذا واضحاً جلياً من كثير من كتب الحركة الماسونية وتصريحات وخطب زعمائها .

● ففي مؤتمر الطلاب الذي انعقد في سنة ١٨٦٥ في مدينة (لييج) التي تعتبر إحدى المراكز الماسونية، أعلن الماسوني المشهور (Laf arge) في الطلاب الوافدين من ألمانيا وإسبانيا وروسيا وإنكلترا وفرنسا قائلاً : « يجب أن يتغلب الإنسان على الإله وأن يعلن الحرب عليه وأن يخرق السموات ويمزقها كالأوراق» .

● إن الإلحاد من عناوين المفاخر ، وليعش أولئك الأبطال الذين

---

(١) البيان الماسوني المؤرخ ١٧٤٤ .

(٢) Amlable - 1889

يناضلون في الصفوف الأولى وهم منهمكون في إصلاح الدنيا[1] .

● سوف نقوي حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتينا من طاقة وسوف نعلنها حرباً شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو (الدين) وهكذا سوف ننتصر على العقائد الباطلة وعلى أنصارها .

● ويجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ، وعلينا ألا نألو جهداً في القضاء على مظاهرها [2] .

● يقول (يونسان) أحد شيوخ الماسونية في نشرة (العالم الماسوني) سنة ١٨٨١ :

(إن الواجب علينا أن نسحق القبيح الفظيع ، وهذا القبيح إنما هو الله ، وهذا الله ليس سوى البشر) .

● أو كما قال (دلباس) - مقدم الشرق الأعظم - سنة ١٩٠١ « إن انتصار الجليلي (يعني عيسى عليه السلام) قد دام عشرين سنة ، وها هو ذا قد سقط في حبائلنا هذا الإله الكاذب (كذا) ونحن الماسون يسرنا أن نشاهد : سقوط الأنبياء الكذبة فإن الماسونية قد أنشئت لتناصب الأديان العداء » .

وهذا هو زعيم الماسونية الافرنسية يقول في النشرة الرسمية سنة ١٨٥٦ :

---

(١) المحفل الماسوني الأكبر سنة ١٩٢٢ ص ١٩٨ .

(٢) مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني سنة ١٩١١ .

(إننا نحن الماسون لا يمكننا أن نكف عن الحرب بيننا وبين الأديان لأنه لا مناص من ظفرها أو ظفرنا ، ولا بد من موتها أو موتنا ، فالماسون لا يمكن أن يذوقوا طعم الراحة إلا بعد أن يغلقوا جميع المعابد ، ويحولوها هياكل لحرية الفكر ولإله العقل .

● وفي عام ١٨٦٦ قالت جريدة الماسون ما يلي :

(يجب على الماسون أن يقيموا أنفسهم فوق كل اعتقاد بالله أيا كان) .

الماسونية والخلق :

والحركة الماسونية شأن الحركات الأخرى الوضعية ليس لها ضوابط أخلاقية ، بل هي تعمل على العكس من هذا تماماً .. فهي تتوسل بالجنس والنساء والخمرة والحفلات الماجنة للايقاع بالأشخاص واجتذابهم إلى صفوفها :

● قال (بوكه) الماسوني سنة ١٨٧٩ :

(تأكدوا تماماً أننا لسنا منتصرين على الدين إلا يوم تشاركنا المرأة فتمشي في صفوفنا) .

● وقال أصحاب مؤتمر بولونيا سنة ١٨٩٩ :

(يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأي يوم تمد إلينا يدها

نفوز بالمرام ونبدد جيوش المنتصرين للدين) .

● وقال (دور فويل) أحد شيوخ الماسون :

(ليس الزنا بإثم في الشريعة الطبيعية ، ولو بقي البشر على سذاجة طبيعتهم لكانت النساء كلهن مشتركات) .

● وقال « برانمون » في كتابه رسوم إدخال النساء في الماسونية ص ٢٢ و ٢٨ :

« العفة المطلقة مرذولة عند الماسونيين والماسونيات لأنها ضد اتجاه الطبيعة » .

● وجاء في نشرة سرية :

ليس من بأس بأن نضحي بالفتيات في سبيل الوطن القومي وماذا عسى أن نفعل مع قوم يؤثرون البنات ويتهافتون عليهن وينقادون لهن ?)

الماسونية تغزو الملوك والرؤساء :

ولقد حرص اليهود منذ أن أنشأوا الحركة الماسونية على الاستفادة منها في التقرب إلى الملوك والحكام والزعماء ورجال الدين والكتاب للاستفادة منهم واستغلالهم وضمان تسخيرهم للمصلحة اليهودية .

وكان لهم ما أرادوا إذ استجاب لهم عدد ضخم من ملوك وحكام العالم .. وحتى يتبين القارىء مدى العلاقات التي أقامتها الحركة الماسونية مع المشاهير والساسة في كل زمان ومكان يكفي أن يعرف عدداً من البارزين منهم في شتى أنحاء المعمورة

كان منهم (ادوارد ملك انكلترا عام ١٩٣٥) (اسكندر الثالث ملك اسكوتلاندا عام ١١٥٠) .

(هنري الثاني ملك انكلترا عام ١٩٥٥) .

(ريكاردوس قلب الأسد عام ١١٦٠) .

(هنري الرابع ملك انكلترا عام ١٣٩٨) .

(هنري الخامس ملك انكلترا عام ١٤١٢) .

(كردينال وولس أستاذ أعظم عام ١٥٠٩) .

(باكون الفيلسوف الانكليزي ١٦٢٩) .

(جورج الأول ملك انكلترا عام ١٩١٤) .

(صموئيل كلارك فيلسوف انكليزي عام ١٧٢٩) .

(فردريك وليم ولي عهد بروسيا عام ١٧٣٨) هريكورت رئيس برلمان باريس عام ١٧٨٥) .

(جستاف الثالث ملك اسوج عـــام ١٧٩٢) (جورج واشنطن مؤسس جمهورية أميركا عام ١٧٩٩) .

(اسكندر امبراطور روسيا عام ١٨٠٣) (سان مارتين

فليسوف فرنسي عام ۱۸۰۳) .

(شارلس ملك اسوج عام ۱۸۱۰) (هيغـــل الفيلسوف الألماني المشهور عام ۱۸۳۱) .

(الملك جورج الخامس ملك انـكلترا) (فاروق الأول ملك مصر السابق) .

(بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية الأسبق) (سامي الصلح رئيس وزراء لبنان الأسبق) .

وهنالك عدد كبير من حكام وزعماء العرب الحاليين يعتبرون من عظام الحركة الماسونية ؟

الماسونية تتسلل الى الاكليروس :

ونتيجة للسعي المتواصل الذي قام به الماسونيون لاستغلال رجال السياسة والدين والعلم في العالم في الغايات البعيدة الـــتي يعملون لها .. فقد تمكنوا عام ١٦٢٠ من إشراك الأساقفـــة ورجال الاكليروس معهم ، وقلدوهم رئاسة محافلهم .. ومنـــذ ذلك الحين أضيف إلى اسم رئيس المحفل كلمة (محـــترم) وهـــو لقب اكليركي لا زال مستعملاً حتى اليوم .. وكانت الأديرة ملجأ للماسونيين في الحروب والثورات .. وفي سنة ٦٨٠ أقيم الأب (ويرال) مفتشاً عاماً للماسون الأحرار في بريطانيا ..

ومن انـكلترا انتشرت الماسونية في العالم الأوربي والشرق .

وفي سنة ٩٦٠ ازداد انتشار الماسونية وكانت إذ ذاك برئاسة (بطريرك كنتربري) الذي أصبح بعد ذلك القديس (دنستان) وفي عام ١١٥٥ انتخب الماسون ريكاردوس قلب الأسد - استاذاً أعظم - للمحافل الماسونية في انكلترا . وكان أستاذاً أعظم لجماعات (الهيكليين) أيضاً ، فقبل الدعوة ودام رئيساً للحركتين حتى توفي . .

ومن أسخف ما يستنتجه (جرجي زيدان) من معاملة صلاح الدين الأيوبي الطيبة الكريمة لريكاردوس قلب الأسد في الحروب الصليبية رغم كونه من أعدائه ، أن صلاح الدين كان ماسونياً على حد زعمه . . ولقد جهل (تلميذ المستشرقين) أو تجاهل أن المسلمين في فتوحاتهم كانوا أرحم الناس وأعدلهم مع جميع الشعوب . وإن صلاح الدين لم يكن بحاجة - وقد كفاه الله بالإسلام - إلى الماسونية وأخلاقها . . وحسبه مواقف رسول الله ﷺ مع خصومه وأعدائه شاهداً على السماحة والرحمة والعدل .

الدرجات الماسونية وكلماتها العبرية :

صنفت الماسونية عضويتها إلى ثلاثة وثلاثين درجة . . جعلت لكل درجة شروطاً وأطلقت عليها اسماً . وكتبت درجات الماسونية كلها باللغة العبرية وإليك ما جاء فيها :

الدرجة الأولى : وتسمى درجة التلميذ وفي العبرية (بوعز) .

الدرجة الثانية : المعاون وفي العبريه (يافين) .

الدرجة الثالثة : الأستاذ وفي العبريـــة موابيون – وتوبال قايين) .

الدرجة الرابعة : الأستاذ السري وفي العبرية (درابزين).

الدرجة الخامسة : الأستاذ الكامل وفي العبرية (يهوفاه) .

الدرجة السادسة : الأستاذ الطفيلي وفي العبرية (زربال).

الدرجة السابعة : القاضي وفي العبرية (نينو – حزقيال – حيرام) .

الدرجة الثامنة : أستاذ اسرائيل وفي العبرية (حوريم) .

الدرجة التاسعة : الأستاذ المنتخب من تسعة وفي العبريـة بيكوهال شول نيكام) ومعناها انتقام .

الدرجة العاشرة : مختار الخمسة عشر الشهير وفي العبريـة (اليكام) .

الدرجة الحادية عشرة : الفارس المختار وفي العبريـــة (استولكين) .

الدرجة الثانية عشرة : الأستاذ الأعظم البنّاء وفي العبرية (دوريكي – توسكاني – ايونيكي) .

الدرجة الثالثة عشرة : فارس العقد الملوكي وفي العبريـة (جاموجور - جاهب – يهوفاه – جابولون) وبهذه الدرجة يمثلون مجلس الملك سليمان .

الدرجة الرابعة عشرة: الاسكوتلاندي الأعظم وفي العبرية (سليمان - حيرام) .

الدرجة الخامسة عشرة : فارس الشرق وفي العبرية (عزريا ، يهوذا) .

الدرجة السادسة عشرة أمير أورشليم وفي العبرية (اسريم - أدار - شلاس اسريم) وفيها ذكرى تقديم الشكر لله على تجديد بناء الهيكل ، وهذه الذكرى أقامها اليهود يوم ذاك.

وهكذا تتابع الدرجات الماسونيه باللغة العبرية حتى االدرجة الثلاثة والثلاثين الخاصة بالحاكم المفتش الأعظم العمومي مما يثبت هويتها (اليهودية) . والملاحظ أن الدرجات جميعاً لا تمثل إلا ما يرمي إلى هيكل سليمان ، وإيقاظ الأفكار وتوجيه المشاعر لإحيائه وبالتالي إقامة المملكة اليهودية ..

فاليهود نظراً لضعفهم وقلتهم في البسيطة عمدوا إلى طريقة تساعدهم على تحقيق رغباتهم عن طريق (الأخوة الماسونية) وربط الناس بأقسام وأيمان غموس على مساعدة بعضهم تحت ستار التكاتف البشري والتعاضد الأخوي المزيف .

فالأمة الإسلامية وهي تواجه في حاضرها معركة مصير مع إسرائيل ووراءها اليهودية العالمية والاستعمار ينبغي أن تطهر مجتمعاتها وصفوفها من كل هذه الحركات والاتجاهات الغريبة والمريبة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

مراجع البحث

* هذه هي الماسونية (ر. فورستيه.)ترجمة بهيج شعبان .
* أسرار الماسونية - للجنرال جواد رفعت اتلخان .
* تاريخ الماسونية العام لجرجي زيدان .
* الآداب الماسونية لشاهين مكاريوس .
* شيعة الماسونية للآباء اليسوعيين .
* البنايه الحرة وروح الماسونيه- لأحمد زكي أبو شادي.

القوميّة السُّوريّة

* نشأتها .
* مبادئها الأساسية والاصلاحية .
* نقض مفهومها القومي .
* نقض مفهومها الديني .



نشأة الحزب القومي السوري:

نشأ الحزب القومي السوري في الثلاثينيات من هـذا القرن بدعوى محاربة الطائفيـة والنزعه الانعزالية ، فدعا إلى فكرة (القومية السورية) واعتبارهـا مستقلة عن القومية العربية ، واعتبار الوطن السوري هو البيئة التي نشأت فيها الأمة السورية، وأن النهضة السورية القومية تستمد روحهـا من مواهب الأمة السورية وتاريخها السياسي والقومي ، وإن أزهى العصور في تاريخ سوريا هو العصر الفينيقي ، في حين تعتبر الفتح الإسلامي فتحاً أجنبياً ، ولاترى في التاريخ الإسلامي في سوريا بعد الفتح إلا تاريخا سورياً خالصاً . فمعـاوية أصبح سورياً لإقامته في دمشق عشرين عاماً قبل الخلافة .. وأمجاد الأمويين أمجـاد سورية . والنزاع بين علي ومعاويه انما هو في نظر القوميين السوريين نزاع بين القومية السورية والقومية العراقية :

يقول سعادة في كتابه نشؤ الامم (الكتاب الأول) .

ولكن معاويه كان قد أصبح ابن محيط غير المحيط العربي فان العشرين سنة التي قضاهـا في سورية (سرينته) او (سورته) واعطته اتجاها جديداً في الحياة الاجتماعية والسياسية فان علم

الدولة وفن السياسة وعلم الحقوق الدستورية والمدنية والشخصية كانت قد بلغت في سورية أرقى المراتب . فأثرت البيئة الجديدة كثيراً على معاوية وجهزته ببعد نظر سياسي رجحه على منازعه . ومن هذا ندرك السر أن معاوية ، لاعثمان أسس الدولة الأموية التي طورت الدولة في الإسلام تطويراً خطيراً [١] .

المبادىء الأساسية للحركة:

يلخص (سعادة [٢]) مبادىء القومية السورية الاجتماعية بثماني نقاط :

١ - سورية للسوريين والسوريون أمة تامة .

٢ - القضية السورية قضية قومية قائمة بنفسها مستقلة كل الاستقلال عن أية قضية أخرى .

٣ - القضية السورية هي الأمة السورية والوطن السوري .

٤ - الأمة السورية هي وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع إلى ماقبل الزمن التاريخي الجلي.

---

(١) نشوء الأمم - لسعادة صفحة ١٣٤

(٢) انطون سعادة مؤسس الحزب القومي السوري وواضع معظم كتبه وهي : نشوء الأمم - المحاضرات العشر تعاليم وشروح - الاسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية . اعدم رمياً بالرصاص عام ١٩٤٩

٥ - الوطن السوري هو البيئة التي نشأت فيها الأمة السورية وهي ذات حدود جغرافية تميزها عمـــا سواها ، تمتد من جبال طوروس في الشمال إلى قنـاة السويس في الجنوب ، شامـلة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ، ومن البحر السوري في الغرب إلى الصحراء في الشرق حتى الالتقاء بدجلة .

٦ - الأمة السورية هيئة اجتماعية واحدة .

٧ - تستمد النهضة السورية القومية روحهامن مواهبالأمة السورية وتاريخها السياسي والقومي .

٨ - مصلحة سورية فوق كل مصلحة .

ثم يحـــدد (سعادة) المبادىء الإصلاحية للحزب القومي السوري فيالخمس نقاط التالية :

١ - فصل الدين عن الدولة .

٢ - منع رجـــال الدين من التدخل في الشؤون السياسية والقضائية القومية ..

٣ - إزالةالحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب .

٤ - الغاء الإقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على أســـاس الانتاج ، وانصاف العامل وصيانة مصلحة الأمة والدولة .

٥ - إعداد جيش قوي يكون ذا قيمة فعلية في تقرير مصير الأمة والوطن .

ولنا ان نناقش بعد هذاالعرض الموجز لنشأة القومية السورية ولمبادئها الأساسية والإصلاحية مدى واقعيه هذه الدعوة بناءً على العناصر الثلاثة التي يجب توافرها في كل دعوة حتى تكون صالحة للبقاء وهي (الذاتية والتقدمية والشمول) .

فما نصيب القومية السورية من هذه العناصر الثلاثة ؟

الذاتية في القومية السورية :

تفقد القومية السورية عنصر (الذاتية) في ناحيتين أساسيتين:

الأولى : في فكرتها القومية وفي نظرتها إلى القومية العربية.

الثانية : في نظرتها إلى الدين وموقفها منه . [1]

أما مفهومها القومي واعتبارها السوريين أمة تامة متميزة عن أبناء البلاد العربيه كمايتميز الفرنسيون عن الانكليزوالروس عن الألمان، فانه يصطدم بالشعور (الذاتي) بالواقع الإسلامي أوعلى الأقل العربي الذي عاشته هذه البلاد أربعة عشر قرناً أي منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم . ونحن حين نفتش في الشعور العميق وفي الإحساس الذي يرتبط بالآباء والأجداد عبر التاريخ ، لانجد أي حنين يهزنا الى الماضي السحيق الذي يعتز به القوميون السوريون ، الماضي الذي يمثله الفينيقيون بوثنيتهم وخمرهم وآلهتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم، والذي اشار اليه (سعادة)

---

(١) راجع ما كتبه المرحوم الدكتور مصطفى السباعي في جريدة الشهاب السورية عام ١٩٥٥

وعناه بقوله (والحقيقة أن من أهم عوامل فقدان الوجدان السوري القومي ، أو من عوامل ضعفه ، إهمال نفسيه الأمة السورية الحقيقية الظاهرة في انتاج رجالها الفكري والعملي، وفي مآثرها الثقافية ، كاختراع الأحرف الهجائية التي هي أعظم ثروة فكرية ثقافية حدثت في العالم ، وانشاء الشرائع التمدنية الأولى ، ، ناهيك بآثار الاستعمار.والثقافية السورية المادية الروحية والطابع العمراني الذي نشرته سورية في البحر السوري المعروف في الجغرافية بالمتوسط وبما خلده سوريون عظام (كزينون –وبيار صليبي - ويوحنا فم الذهب – وافرام – والعمري وديك الجن الحمصي – والكواكبي – وجبران – وطائفة كبيرة من مشاهير الأعلام قديما وحديثاً)

(أضف إلى ذلك قوادها ومحاربيها الخالدين من (سرجون الكبير) الى (اسرحدون) و (سنحاريب) و (نبوخذ نصر) و (اشور بانبال) و (تقلاط فلاصر) الى (جنون الكبير) الى (هاني بعل) اعظم نابغة حربي في كل العصور وكل الأمم الى (يوسف العظمة) الثاوي في ميسلون [1]

ان الشعور (الذاتي) لدى الأمة يؤكد ان لاشيء يشدها الى

---

(١) المحاضرات المشر في الندوة الثقافية (ص ٨٨) ويلاحظ كيف أغفل سعادة مشاهير وعظماء الاسلام الذين حفل بهم التاريخ ، وانه لإغفال حاقدوليس اغفال جاهل ؟

هذا التاريخ والى هؤلاء النـــاس الذين يتحدث عنهم مؤسس القومية السورية ؟ وانما نجـــد في النفوس حنينا يهز الضمائر والعواطف نحو (التاريخ العربي) منذ الفتح الاسلامي لهـــذه البلاد .. فأمجـــاد الامويين ، وحضارة العباسيين ، وابطالنا الفاتحون ، وعباقرتنا المتشرعون ، وآباؤنا الخالدون، هم الذين تطرب نفوسنا لذكرياتهم وتاريخهم والحديث عنهم .

ومن العجيب لدى هؤلاء القوميين أن للأرض عندهم تأثيراً بالغاً بحيث تجعل من معاوية (سورياً) لأنه أقام في بلادنا بضعة عشر عاماً ، وبحيث تجعل الأرمني الذي يعيش في بـلادنا عشر سنوات (سورياً) بروحه وقوميته ؟ ثم ينكرون تأثير العقيدة واللغة والتاريخ المشترك خلال أربعة عشر قرناً .

فالمسيحيون عاشوا في ظـــل نصرانيتهم عشرين قرناً ، والمسلمون عاشوا في ظل إسلامهم أربعة عشر قرناً . . والإسلام والنصرانية حرب على الوثنية التي كان عليهـــا (الفينيقيون) ومع ذلك يرفض القوميون السوريون الاعتراف بهـذه الحقائق الدامغة ويصرون على التنكر لهذا الواقع الذي عشنا فيه هـذه الأحقاب الطويلة من التاريخ ، في الوقت الذي يجعلون للأرض والتراب والجو أثراً سحرياً يحول الإنسان خلال فترة وجيزة من قومية إلى قومية ومن تاريخ إلى تاريخ ؟

فأي منطق يجيز انتزاع هذا الجزء الذي لا يتجزء من الوطن

العربي ومن العالم الإسلامي والمرتبط بها ارتباط تاريخ وعقيدة وارتباط آمال وآلام ، وارتباط تاريخ وتراث ، خلال عشرات القرون ، ليربط بواقع ماض ميت لا تشدنا إليه صلة من صلات اللغة والعقيدة والدين والتقاليد والعادات منذ أكثر من ألفي سنة؟

ثم ما هو الحاجز الذي يحجز بيننا نحن اللبنانيين والسوريين والمصريين والحجازيين والمغاربة ؟ وما هي هـذه الخصائص النفسية والذاتية والإقليمية التي تجعل السوريين أمة تختلف عن أبناء البلاد العربية الأخرى ؟

وحسبنا هذا دليلاً على فقدان (الذاتية) في دعوة القومية السورية ..

موقفها من الدين :

وأما موقف القومية السورية من الدين فهو دليل أقوى على فقدانها عنصر الذاتية .. فنحن أمة متدينة تدين أغلب جماهيرنا بالإسلام .. والإسلام نظام ودولة ، ينظم شؤون الحياة دقيقها وجليلها، وهو واضح الحدود والمعالم والمناهج . دين فيه من المرونة ما يجعله قادراً على استيعاب مشاكل الحياة المتجددة في كل حين .. ولكن دعوة القوميين السوريين لا تنظر إلى الإسلام بهذا المنظار .

فهي تعلن كما جاء في كتاب (نشوء الأمم) لسعادة بأن فكرة الألوهية إنما اخترعها الإنسان يوم كان رازحاً تحت سلطان الخوف والوهم والخرافة ، وهو بذلك يذهب إلى ما ذهبت إليه (الفلسفة المادية) التي تنكر وجود الله وعالم ما وراء الطبيعة . يقول سعادة : (كانت مسألة نشوء النوع البشري من المسائل التي شغلت عقل الإنسان منذ ابتداء الإنسان ، يشعر بوجوده ويعقل نسبته إلى مظاهر الكون ونسبة هذه المظاهر إليه . فأخذ يتكهن صدوره عن عالم غير هذه الدنيا يعود إليها بعد فناء جسده . ولم يكن هذا التكهن الراقي في التصور مما تنبه له الإنسان كما يتنبه للموجودات الواقعية ، بل كان درجة بارزة في سلم ارتقاء الفكر سبقتها درجات من التخرصات الغريبة التي ليس هذا البحث مختصاً بها ولكن لا بد من الإشارة إلى هذه الدرجة لأنها ذات صلة متينة بنشوء الدين وفكرة الله وحكاية الخلق المستقل التي أثرت فينا تأثيراً عظيماً .

في هذه الدرجة نشأت اعتبارات النفس والجسد ، ففي الهند اشتقت النفس من النفس ، وشاعت في أماكن كثيرة عقيدة لفظ النفس من النفس .. حتى إذا بلغ التطور الديني إلى فكرة الله القادر على كل شيء لخالق السموات والأرض وما عليها ، كان ما يشبه البديهي أن يعلل الإنسان نشوء نوعه بخلق مستقل (فجبل الله تراباً ونفخ فيه من روحه نسمة الحياة) .

ولم يكن العقل البشري عنده تلك الدرجة من الدقة والتمييز بحيث يحاول الدخول في افتراض وتقرير خلق مركب معقد للإنسان وسلالاته ، فلجأ إلى جعل الخلق بسيطاً ومعقولاً بحيث ينطبق على الظاهر البسيط ، فخلق الله رجلاً واحداً هو (آدم) ثم خلق له امرأة واحدة من ضلعه هي (حواء) وسنة التوالد تكفلت بتعليل تكاثر البشر وانتشارهم في الأرض)[1] .

يتأكد من ذلك أن النظرية القومية السورية في الكون والإنسان والحياة نظرية مادية تنكر وجود الله والبعث والرسالات واليوم الآخر وتلتقي مع غيرها من النظريات المادية الأخرى من حيث الفلسفة الكونية .

من هذا المنطلق (الإلحادي) تنطلق القومية السورية في مواقفها العقائدية من الفكرة الدينية بشكل عام ومن الإسلام بوجه خاص ..

فهي تعلن أن الإسلام دمه جامد ، وإنما الذي جعله متطوراً هم (الخلفاء والفقهاء) كذا .. يقول سعادة : (شرع الدولة ، شرع الله المنزل على رسوله ، فهو شرع واضح جامد ككل شرع ديني آخر . ولكن الاجتهاد أنقذ الموقف وكان مفيداً في تطوير الشرع والحقوق)[2] ويقول (لم يترك محمد دستوراً للدولة ،

---

(١) نشوء الامم – لسعادة – ص ١٩ .

(٢) نشوء الأمم – لسعادة ص ١٣٦ .

فهو قد أتم الدين ولكنه ترك الدولة تهتم بمصيرها . ولمـــا كانت الخلافة أول وأقوى سلطة في الإسلام خصوصـــاً من الوجهة التنفيذية والإدارية، فقد أصبحت قبلة أنظار الطامحين إليها)[1].

أمر غريب أن يتحدث زعيم القومية السورية عن الإسلام كما نتحدث نحن عن قبائل (الماو ماو) . إن مراجعة بسيطة منصفة للتاريخ الإسلامي وللتشريع الإسلامي تظهر بجلاء بطلان هذه التخرصات التي أطلقها (المستشرقون) واعتنقها القوميون السوريون ؟

والقومية السورية تعلن عن مفهوم جديد للاسلام حين تقول (إننا جميعاً مسلمين ونصارى مسلمون ، منا من أسلم لله بالانجيل ومنا من أسلم لله بالقرآن ، ومنا من أسلم لله بالحكمة ..) ولو لا الحياء من الشعور الملتهب ضد الصهيونية لزادوا على ذلك (ومنا من أسلم لله بالتوراة ؟) . وهكذا يمسخون الاسلام ويتـلاعبون بحقائقه ومفاهيمه ، وذلك أكبر دليل على مبلغ احـــترامهم له وإيمانهم به ؟

ولقد كشفت الوثائق كذلك فيما كشفت عن اعتقادهم بأن الأنبياء عامة ومحمد ﷺ خاصة ، أرسلوا لأزمانهم فقط ، وأن الزعيم سعادة هو نبي هذا الزمن فلا وجـــه للمقارنة بينه وبين

---

(١) نشوء الأمم - لسعادة صفحة ١٣٣ .

الأنبياء ؟وهذا كفر بالأديان الإلهية قاطبة ودليل آخر على البون الشاسع الذي يفصلهم عن هذه الأمة في عقيدتها ودياناتها ..

فصل الدين عن الدولة :

ومن بديهي القول أن نذكر هنا مناداتهم بفصل الدين عن الدولةوهي الفكرة (الغربية المصدر) التي يرفضها الإسلام ابتداً.

يقول سعادة : (إن أعظم عقبة في سبيل تحقيق وحدتنا القومية وفلاحنا القومى هي تعلق المؤسسات الدينية بالسلطة الزمنية ، وتشبث المراجع الدينية بوجوب كونها مراجع السيادة في الدولة ، وقبضها على زمام سلطاتها أو بعض سلطاتها علىالأقل والحقيقةأن معارك التحرر البشري الكبرى كانت تلك التيقامت بين مصالح الأمم ومصالح المؤسسات الدينية المتشبثة بمبدأ الحق الإلهي والشرع الإلهي في حكم الشعوب والقضاء فيها .. وهو مبدأ خطر استعبد الشعوب للمؤسسات الدينية استعباداً أرهقها. هذه هي الوجهة الدنيا من الدين .. هي الوجهة التي كان الدين ولا يزال يصلحلها حين كان الإنسان لا يزال في طور بربريته أو قريباً منها ، أما في عصرنا الثقافي فإنه لم يعد يصلح [1] .

والحقيقة أن الإسلام لا يفرق بين شؤون روحية وشؤون

---

(١) المحاضرات العشر لسعادة صفحة (١٠٠ - ١٠٣)

سياسية ، وإنما يعمل على أن تكون شؤون الحياة — كل شؤون الحياة - خاضعة لمنهج الإسلام ولحاكمية الله ... ولأنه ليس في الإسلام مـــا يسمى برجل دين وآخر برجل سياسة ، وليس فيه كدلك ما يسمى بالاكليروس ، كما أنـــه لم تقم في تاريخ الإسلام منازعات بين سلطات دينية وأخرى زمنية كما حدث في أوربا . ذلك أن الإسلام في محتواه يختلف اختلافاً كليـــاً عن محتوى (النصرانية) ، وقد ورد بيان ذلك بتفصيل في موضوع آخرمن هذا الكتاب .

محاربة فكرة التجمع على أساس ديني :

ويتحامل القوميون السوريون على الأصرة الدينية وعلى كل تجمع يقوم على أساس من الدين ويعتبرون ذلك من أخطر العقبات في سبيل التقدم ولذلك فهم يعملون على محاربتها حتى يسلم عند حد قولهم الكيان السوري القومي من التناقضات، وحتى تكون التبعية فيه والولاء الوحيدين تبعية وولاء قوميين ليس إلا ؟

يقول سعادة : (إن فكرة الجامعة الدينية السياسية منافية للقومية عمومـــاً وللقومية السورية خصوصاً . فتمسك السوريين المسيحيين بالجامعة الدينية يجعل منهم مجموعاً ذا مصلحة متضاربة مع مصالح مجاميع دينية أخرى ضمن الوطن ، ويعرض مصالحهم للذوبان في مصالح الأقوام الذين تربطهم بهم رابطة الدين

(كالفرنسيين والطليان وغيرهم) ... كذلك تشبث السوريين المحمديين بالجامعة الدينية يعرض مصالحهم للتضارب مع أبناء وطنهم الذين هم من غير دينهم ، وللتلاشي في مصالح الجامعة الإسلامية الكبرى ..

لا يمكن أن تتأسس دولة قومية بالمعنى الصحيح على الدين . لذلك نرى أن أكبر جامعتين دينيتين في العالم (المسيحية والمحمدية) لم تنجحا بصفة كونهما جامعتين مدنيتين سياسيتين ، كما نجحتا بصفة كونهما جامعتين روحيتين ثقافيتين . إن الجامعة الدينية الروحية لا خطر منها ولا خوف عليها ، أما الجامعة الدينية المدنية السياسية فتجلب خطراً كبيراً على الأمم والقوميات ومصالح الشعوب [١] .

وبهذا تفقد القومية السورية أبرز عناصر الواقعية في الدعوات حين نلتمس آثارها في نفوسنا فلا نجد لها إلا صداً وإعراضاً واستنكاراً ؟؟

الانعزالية في القومية السورية :

قد تكون القومية السورية في مبادئها الاقتصاديه مع مخالفتنا لها في حدود التقدمية التي تنادي بها، ولكنها في تحديدها للوطن

---

(١) المحاضرات العشر لسعادة صفحة (١٠٣ - ١٠٥)

السوري وتضييقها مدى حيوية الأمـــة وإمكانياتها تغدو دعوة (انعزالية) تعود بنا القهقرى الى عصر الجمهوريات اليونانية حين كانت كل مدينة جمهورية قائمة بذاتها لها نظمها وقوانينها ؟؟ فهي تريد أن تمسخ عالمنا العربي والاسلامي الكبير الى عالم صغير محدود في عصر يتميز بأنه عصر الانطلاق الواسع نحو التعاون الفكري والسياسي بأوسع حدوده ..

ففي عصر التكتلات العالمية والمعسكرات الدولية والتجمعات الأممية تقوم دعوة القوميين السوريين لتعزلنا عن مجموعتنا الكبرى التي يمكن أن تصبح القوة الثالثة في العالم ؛ لنعيش في حدود أقل رقعة من أصغر ولاية في أميركا مثلاً ؟؟

وهكذا تعود بنا القومية السورية القهقرى إلى حيث انكماش الأمم الصغيرة داخل حدود وهمية ، إن كانت في الماضي تدفــع عنها الأذى ، فهي اليوم تقتلنا في كل مجـــالات النشاط الإنساني والسياسي والاجتماعي ؟؟

الميكافيلية في القومية السورية :

ثم إن عـــدم اهتمام القومية السورية بالمبادىء الأخلاقية التي تنادي بها شرائع الله والنظريات الأخلاقية العالمية يجعلها دعوة (ميكافيلية الأسلوب ، مادية النزعة ، مستهترة بالقيم الروحية والأخلاقية) كما نشاهد آثار ذلك في الفرص التي تهيئها لإغراء

الشباب والفتيات بالانضمام إليها في حلقات مـاجنة تلعب الخمرة فيها بالرؤوس وتنطلق فيها الغرائز جامحة مسترسلة لا تقف عند حدود الشرائع والآداب ..

إن القومية السورية حين تقصر إصلاحها المزعوم على جمع شتات السوريين وجعلهم أمة قوية دون أن تعنى بالإصلاح الأخلاقي الذي لا تنهض أمة بدونه، ولا تستقيم نهضة إلا على أساس قوي من مبادئه، تكون قاصرة غير شاملة، وميكافيلية غير أخلاقية.

مواقفها السياسية:

أما المواقف التي وقفتها القومية السورية من الغرب وتأييده لإسرائيل، ومن الغرب وتأييده لتركيا في اسكندرونة، ومن الغرب في أفريقيا وآسيا بوجه عام، ومن الثورة اللبنانية عام ١٩٥٨ فإنها تقطع بأن القومية السورية تضع ولاءها للغرب ولدوله فوق ولائها لسوريا نفسها. مما يحمل على الاعتقاد بأن فكرة (القومية السورية) من أساسها ليست سوى (تجربة غربية) لنظرية الوحدة الجغرافية في الشرق ..

وبهذا التحليل السريع للقومية السورية لا نتردد في الحكم على هذه الدعوة بأنها دعوة عرجاء هوجاء، إن كتب لها الحياة يوماً ففي غفلة المجتمع، واضطراب الدولة وفوضى التوجيه، وانعدام التنظيم الحركي السليم ..

مراجع البحث

* نشوء الأمم – الكتاب الأول – لسعادة

*سعادة والحزب القومي – عن مجلة الدنيا الدمشقية .

* في القومية العربية – لعبد اللطيف شرارة

* العروبة بين دعاتها ومعارضيها – لساطع الحصري .

* المحاضرات العشر في الندوة الثقافية – لسعادة .

* الاسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية – لسعادة .

* مقالات للمرحوم مصطفى السباعي في جريدة الشهاب الدمشقيه عام ١٩٥٥ .

* تعاليم وشروح في العقيدة القومية الاجتماعية - لسعادة.

القوميّة العربيّة

* تعريف القومية
* موقفها من الدين
* خصائصها (في الطور الأول)
* اللغـــة
* التـــاريخ
* الأرض
* المصلحة المشتركة
* القومية العربية في (طورها الماركسي)
* القومية العربية والمعنى التعصبي



تعريف القومية:

إن فكرة القومية قديمة قدم الاجتماع البشري ، ولكنها كانت تسمى قديماً «العصبية» فالعصبية التي كانت تجمع أفراد القبيلة الواحدة هي التي في الواقع « القومية » .

والحقيقة أننا لا نستطيع أن نقف على تعريف واحد ثابت بالنسبة للقومية العربية بين جمهرة الفِرق التي نادت بها ، وقد لا يكون هذا بالغريب طالما أنها — أي القومية — لم تكن سوى عدوى انتقلت إلينا من بلاد غريبة عنا .

ومن طبيعة العدوى أنها تنقل نفس الأعراض والخصائص.. فما دامت أعراض القوميات الأوربية متباينة تحتم تباين التفسير القومي عندنا أيضاً .

لقد كان اضطراب التفسير القومي لدى فلاسفة أوربا السبب في الاختلاف الذي وقع به دعاة القومية في بلادنا .. ففي الوقت الذي نرى فيه القوميه الألمانية تقوم على أساس « العرق الآري الممتاز » وأن المانيا فوق الجميع نجد ماتزيني في الناحية

الأخرى يقول « الحق أننا لا نستطيع أن نجد في بقعة واحدة من بقاع أوربا شعباً نقياً خالصاً لم يمتزج بسلالات شعبية أخرى » وهذا ما ينطق به واقع الشعب الفرنسى الذي يتألف من مزيج من الالمان والسيلينين والرومان .

ومن ثم لو تتبعنا تاريخ القومية الألمانية التي ظهرت في ألمانيا قبل عام ١٨٧٠ لوجدنا أنهـــا خطت بعض الخطوات الأولية في سبيل تدعيم الوحدة الألمانية ، يوم أن كانت ألمانيا منقسمة إلى دول ودويلات يزيد عددها على الثلاثمائة حتى مطلع القرن الثالث عشر. ولكن ما أن تتعاقب بنا السنون حتى نجد أن هذه الوحدة التي بدت متماسكة قوية ، وقد بدأت تشمخ بأنفها في زهو ، وخيلاء من تأثير خمرة — العرق الآري الممتاز — وإذا بهذا الجبار العنيد يتداعى ويهوى ولا يبقى منـــه سوى ذكريات يتناقلها الكتاب والمؤلفون .

فالقومية إذن ليست سوى كيان فارغ يحتاج الى إملاء ... وليست إلا عاطفة جياشة بحاجة الى دعائم فكرية قوية وفلسفة منطقية معينة .

دعاة القومية والدين:

ودعاة القومية العربية وإن كانوا مختلفين متناقضين في تعريف القومية العربية ، إلا أنهم متفقون تمـــام الاتفاق في موقفهم من

الدين بشكل عام ومن (الإسلام) بصورة خاصة ..

فهم ينادون بفصل الدين عن الدولة .. ويعتبرون الدعوة إليه دعوة رجعية .. ويحرصون على علمنة الدولة وعلمنة قوانينها كل ذلك تقليداً وانسياقاً مع الخط الذي سلكته الحركات القومية في أوربا وبخاصة الثورة الفرنسية ..

فهل جهل دعاة القومية العربية أن الجماهير كانت محقة في خروجها على الكنيسة ومطالبتها بإقصاء رجال الدين عن المسرح السياسي بعد أن ذاقت من هؤلاء الأمرين؟ إن الظلم والقتل والشنق كانت من الوسائل التي لجأت إليها الكنيسة لتدعيم سلطانها الذي بدأ يتصدع تحت مطارق التحرير .



كانت أوربا قبل دخول المسيحية إليها مسرحاً لضراوة البشر وتنمرهم وتفلتهم من الحظيرة الإنسانية . لم تكن هناك قوانين تصون حرية الأفراد بل كانت القوة هي القانون الذي يستطيع أن يفرض نفسه بنفسه. ولم تكن هنالك مقاييس أخلاقية تحفظ للإنسان طبيعته الإنسانية ... ولكن الإنسان خرج عن كونيته الخلاقة المبدعة المترفعة إلى حياة أشبه بحياة الغاب وكونية أقرب إلى كونية الحيوان .

في مثل هذه الظروف ... دخلت المسيحية أوربا تتقدمها ترانيم المحبة وتراتيل السلام .. فكان من الطبيعي أن يحصل الصدام والشقاق . إذ كيف لتعاليم المسيح القائلة : (من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر)(ومن سخرك ميلاً فامش معه ميلين) (ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاخلع له الرداء أيضاً) كيف لهذه التعاليم السمحة الرقيقة أن تجد لها قبولاً في نفوس طال عليها الأمد فقست وتحجرت. إن هذا بالأمر المحال . ولذلك لزم رجال الدين كنيستهم يضربون أخماساً بأسداس .

يقول سيد قطب في كتابه العدالة الاجتماعية (ولكن رجال الدين من القساوسة والكرادلة والبابوات لا يستطيعون أن يضمنوا مصالحهم، ولا أن يحافظوا على نفوذهم إذا بقيت الكنيسة في عزلة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . فلا بد إذن أن تكون للكنيسة سلطة تقابل سلطة الملوك والأمراء . ولا بد أن تستغل سلطانها الروحي في ميدان الحياة العامة . وجاءت عصور كانت للكنيسة أملاك وجيوش وسلطان لا تقل عن أملاك الملوك وجيوشهم وسلطانهم. ووقع النزاع كما لا بد أن يقع -بين الكنيسة والسلطة ، بين البابوات والأباطرة وكان الدهماء في الغالب في صف الكنيسة . ثم وقع الوفاق - كما لا بد أن يقع - بين هاتين السلطتين، لالتقاء مصلحتيهما في تسخير الجماهير واستغلال الدهماء

مادامت مادية واقتصادية في حقيقتها وما دام النزاع في أسله على السلطة الزمنية) .

ولكن وعي الأحرار واستيقاظ الجمـــاهير كان أقوى من أن تقف في سبيله جيوش أو تثنيه عن عزمه سجون ومحاكم تفتيش. بل إن وسائل العنف غالباً ما تزيد النار تأججاً والثورة غلياناً . هذا ما حدث فعلاً في تلك الفترة المظلمـــة . وما لبثت براكين الثورة أن تفجرت في كل مكان ناقمة مرعـــدة . ويسدل الستار بعـــد جسيم المآسي عن انهزام الدين (برجال الدين) وانتصار الجماهير الشعبية . ويعود جبار الكنيسة الى قمقمه بعد أن دكت صروح قوته، وزلزلت أركان سطوته، يعود ليندب حظه الضائع ومجده التليد ، بينما يتقدم الشعب المتحرر متنمراً من خمرةالنصر.

من هنا تكونت فكرة فصل الدين عن الدولة .. وأن مـــا لقيصر لقيصر ومـــا لله لله . ومن هنا انطلقت أصوات الشباب عندنا مرجعة أصداء الصراع البعيد الذي نشب بين المسيحيةوبين النهضة الفكرية في فرنسا .

●

ولكن تاريخ الاسلام لا يشهد قط أي صراع حـــدث بين رجال الدين ورجال الحكم.. إذ لم يكن في الإسلام أصلا فئـــة مميزة تدعى — رجـــال دين — والإسلام يعتبر كل فرد من أفراده

رجـــل دين إن تحققت في نفسه وسلوكه تعاليم الدين . كما أن الإسلام لا يفرق في الوقت نفسه بين الدين كعبادة والدولة كحكم بل يجعلهما سبباً لعلة واحدة وهي إظهار الحق . وأنت ترى ذلك واضحاً في آيات كثيرة من القرآن قال تعالى (الذين إن مكناهم في الأرض أقـاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) فلزوم التمكين في الأرض بالحـكم والسلطان والدولة غايته إقامة أمر الله والعكس بالعكس .

ولقد ظهرت هذه الصورة واضحة خلال حياة الرسول ﷺ وصحابته الكرام . فكانوا رجال حرب ومحراب في وقت واحد يؤمون الناس في مساجدهم ويقودونهم في حربهم ونزالهم. وبذلك ينعدم النزاع بين رجال الدين وبين رجال الحكم في الإسلام بانعدام أسبابه وبخلو واقعه من هيئة اكليروس .

وهـــذا لا يعني أن الحكام هم المتصرفون بأمرهم في الإسلام وليس لأحد من سلطان عليهم !. فتاريخ البشرية لم يشهد يومـاً حرية أفراد في ظل حكومات كما شهدها في ظل الدولة الإسلامية فكان الأعرابي النكرة يأتي إلى الخليفة – عمر بن الخطاب – ومن دان له ملك فـارس والروم ، ليقول له : (والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا) فالإسلام ترك الشعب حق محـاسبة الحكام .. بل وجعل محاسبتهم جهاداً يثاب المرء عليـــه بدليل قول الرسول ﷺ (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) .

وعلى هذا فإن تاريخ الإسلام وواقعه مختلفان تمام الاختلاف عن واقع المسيحية وتاريخها. ولكن خطأ الكثيرين الذين حكموا على الإسلام بجرم ارتكبه رجال الدين المسيحي في عهود غابرة إنما يعود إلى جهل هؤلاء بالإسلام كرسالة تختلف بخصائصها ومضمونها عن خصائص المسيحية ومضمونها .

خصائص القومية العربية في طورها الأول :

من البديهي أن تعتمد الدعوات في قيامها على خصائص تجسمها وتجسدها .. والدعوة التي لا تعتمد على خصائص ذاتية ثابتة وعلى أصول عقائدية واضحة هي دعوة لن يكتب لها الحياة بل لا يصح حتى اعتبارها مجرد دعوة ..

والحركة القومية العربية لافتقارها في طورها الأول إلى محتوى عقائدي واضح ، ولاعتمادها على العاطفة القومية المشبوبة كانت تائهة في متاهات مقفرة من التفسيرات (الهيولية) لخصائصها ومضمونها الفكريين ، مما جعلها فريسة للاتجاه الماركسي ؟

إن مجموع الخصائص التي كان يعتمدها القوميون العرب كأساس إيديولوجي في الدعوة إلى القومية العربية ليست في الحقيقة سوى خصائص ثابتة ومشتركة لكل قومية من القوميات ولا يصح بالتالي اعتمادها كأسس عقائدية أو أصول فلسفية في بناء حركي عقائدي معين ؟

بالرغم من ذلك ، فإننا لا نجد بأساً من تناول هذه الخصائص ونقضها ، ليس كصفات ثابتة من صفات القومية ، بل كأسس عقائدية وكمحتوى فكري كان يعتمده الاتجـاه العروبي إلى عهد قريب ، أي قبل اجتياحـــه من قبل الفلسفة الماركسية وتبنيه للخط اليساري ؟

١ ــ اللغـــة

يعتبر فريق من القوميين اللغـة أساساً من أسس الدعوة إلى القومية العربية وعنصراً من عناصرها وهم في ذلك متبعون لا مبتدعون « ففيختته[1] » يرى أن الناس يتكونون باللغة ويرى أن اللغة الجرمانية بكونها أصفى اللغات وأقلها تأثراً بغيرها جعلت الألمان أرقى الشعوب التي تحوي ألسنتها كثيراً من العناصر الدخيلة الأجنبية عنها .

والحقيقة أننا لا نستطيع إنزال اللغة هذه المنزلة لعدة وجوه :

أولاً : لو كان لها هذا التأثير القوي في صهر الناس وتكوينهم وتجنيسهم لحق على الأميركان والإنكلـيز أن يكونوا أصحاب قومية واحدة طالمـا أن اللغة الإنكليزية هي لغة الشعبين . هذا بالإضافة إلى أن الشعب الأميركي مزيج من سلالات مختلفة نزحت

---

(١) فيختته Fikhteh فيلسوف ألماني .

من أوربا عقب اكتشاف أميركا ومن جملتها السلالة الإنكليزية فهل تكون وحدة أمـــيركا وإنكلترا ضرورة قومية في نظر القوميين بحجة أنهما تشتركان في الجنس واللغة ؟

إن اللسان الإنكليزي دخل أميركا بعد اكتشافها كما دخل اللسان العربي مصر وسائر البلاد التي افتتحها المسلمون .. ولكن السبب الذي أدى إلى صهر من تكلموا العربية وجعلهم أمـــة واحدة ، وإلى بقاء من تكلموا الإنكليزية أمماً متفرقة ، إنما يرجع إلى الرسالة الإنسانية التي حملها العرب لا إلى اللغة العربية !

نعم .. لقد كان للغة العربية الفضل في نقـل مفاهيم الإسلام وتعاليمه إلى كافـــة شعوب الأرض . فهي — أي اللغة — أشبه بالمركبة التي تنقل الإنسان من مكان إلى مكان ابتغاء السرعـــة وعدم استنفاد الجهد بالمسير ، ولكن السيارة تبقى وسيلة لغاية وهي النقل كما تبقى اللغة العربية وسيلة لنقل رسالة الحياة الجديدة إلى كل قطر ومصر .

ثانياً : إن هناك دولاً كثـــيرة تتمتع بالسيادة والاستقلال الذاتيين وتتكلم أكثر من لغة . فسويسرا مثلا تتكلم ثلاث لغات دون أن تتبنى واحدة منها . ولكن هذا لم يمنع من وجودهـــا كدولة تعد من أرقى دول العالم .

فإنزال اللغة هذا المنزل الضيق — واتخاذهـــا خصيصة من

خصائص القومية يخنق المفهوم الفكري النـاهض المنطلق ويقعد بالمبادىء مقعد الأنانية البغيضة ، وينتحي بها ناحية الانعزالية المميتة .

ثم إننا في عصر أصبح كل شعب يتكلم لغات عديـدة فلم تعد اللغة رابطة أساسية بين الناس ، بل أصبح من الضروري التفتيش عن رابطة إنسانية أقوى من هـــذه الرابطة التي لم تمنع بعض متكلميهـــا من أن يتّجروا بشعوبهم ويقدموها لقمة سائغة للمستعمرين .

٢ ـــ التـــاريخ

ويهتف القوميون بالتاريخ عنصراً من عناصر القومية العربية والتاريخ الذي يعتبرونه عنصراً من عنـــاصر قوميتهم ينقسم الى حقبتين :

أ – حقبة سبقت ظهور الإسلام (الجاهلية) .

ب – حقبة سارت مع الإسلام فعرفت به وعرف بها .

ونحن لا ننكر أن حضارات عظيمة ظهرت في الحقبة الأولى من التاريخ العربي . فحضارات الدول الشمالية ومنها دولة تدمر ، وحضارات الدول الجنوبية ومنهـا دولة سبأ وحمير ، سجلت في التاريخ القديم نبوغاً وتفوقاً في كثير من العلوم والفنون. فالدولة

التدمرية لها آثار جليلة في العمران وخاصة في الزخرفة والبناء والنقوش والكتابات . وقد تضمنت هذه النقوش عدة قوانين شرعية وتجارية . كما كانت دولة سبأ وحمير على جانب كبير أيضاً من التقدم الصناعي والزراعي والسياسي .

وأعظم ما عرف عنها هو بناء السدود للاستفادة من مياه الأمطار . كل هذا مما لا يجوز إنكاره بحال .. ولكننا ننكر وجود أي دافع يشدنا إلى تلك الحضارات البائدة المنعدمة. فهل يعقل أن نتخطى حضارة الإسلام التي عرفت بها أمتنا طوال أربعة عشر قرناً إلى حضارة لا نحس بدافع اللهفة نحوها ولا نشعر بنوازع الحنين إليها ؟ ونحن في الوقت نفسه لا نجد أثراً من صلة تربط التاريخ الجاهلي بالتاريخ الإسلامي .

إن التاريخ كعنصر من عناصر القومية العربية يجب أن يكون أحد تاريخين إما أن يكون تاريخ الجاهلية ، وإما أن يكون تاريخ الإسلام . فإذا كان الأول أصبحت دعوى القومية العربية لا تمت إلى الواقعية بصلة لأن هذا التاريخ المنصرم لا علاقة له بحياتنا الحاضرة وليست له أية خصائص تجعلنا ننتسب إليه أو نحافظ عليه . وإذا كان الثاني أصبح من الضروري أن يكون الإسلام كرسالة أوجدت هذا التاريخ العنصر الأول والأخير الذي يجب أن تعتمد عليه القومية العربية في نهضتها الحديثة .

واستطراداً لما تقدم أقول : إما أن يكون تاريخهم إسلامياً

فيكون بذلك عنصر التاريخ عندهم واقعياً .. وإما أن يكون جاهلياً فتغدو دعوام مستهجنة خياليـــة لا مكان لها في وطن يعيش أهله بتاريخ الأمة الإسلامية التي كانت خير أمة أخرجت للنـــاس .

٣ ـــ الأرض

وينادي فريق بالأرض عنصراً من عناصر القومية العربية . والواقع أننا إذا أردنا تحديد الأرض التي سكنها العرب منذ فجر التاريخ لأسقطنا من حسابنا عدداً من البلاد التي أصبحت عربية بعد الفتح الإسلامي فقط . فأرض العرب في الواقع على نوعين :

١ – نوع عربي : وهي الأراضي التي سكنهـــا العرب منذ القدم فعرفت بهم وعرفوا بهـــا وتضم . شبه الجزيرة العربية وصحراء سوريا .

٢ – نوع مستعرب : وهو الأراضي التي افتتحها المسلمون وسكنوا فيها تعاليمهم ونشروا فيهـــا لغتهم ونخص منها مصر وشمالي أفريقيا .

أما مصر فقد سكنها الفراعنة من عهـد موسى عليه السلام ولم تتخذ وجهـــا عربياً حتى افتتاحها على يد عمرو بن العاص القائد المسلم .

وأما البلاد التي تمتد على الساحل الإفريقي الشمالي وتضم ليبيا والجزائر ومراكش وتونس فكانت معروفة قبل دخول الإسلام بأنها وطن البرابرة سكان البلاد الأصليين .

فأية أرض يعتبرها القوميون أرضاً عربيـــة عريقة ومن ثم يعتبرونها عنصراً من عنـــاصر قوميتهم ؟ إذا كانت أرض شبه الجزيرة وهذه فقط التي تعرف بأرومتها العربية فقد سلخوا عن محيط دعوتهم مصر والمغرب العربي بل جميع البلاد الأخرى التي تعربت بعد الإسلام . وأمـا إذا كانت أرض العرب بعد الإسلام هي العنصر الأرضي الذي ينادي به القوميون فإن،هذه الأرض لم تكن عربية قبل الإسلام وأصبحت عربية بعده . وبالتالي أصبح تاريخها تاريخه ، ومعتقداتها معتقداته، ورسالتها في الحياة رسالته فهي أرض إسلامية بحكم الواقع .

وإذا اعتبروا الأرضين معاً أرض القومية العربية فيعود فضل الإسلام يثبت لهم من جديد بأنه هو الذي مزج هـــذه الشعوب بخصائصه ومبادئه ومفاهيمه وما كان للأرض أو اللغة أو التاريخ من فضل في صهر هذه الشعوب. ولو كان لها هذا التأثير لاستطاعت أن توحد ولو سكان شبه الجزيرة قبل الإسلام ، ولاستطاعت أن تجعل منهم أمة في الجاهلية .

ولا نكون مبالغين إذا قلنا أن فضل الإسلام على (العروبـــة والعربية) لا يمكن أن يدانيه فضل على مدار التاريخ سواء كان

ذلك قبل البعثة أو بعدها ..

ولندخل في مناقشة الموضوع من الأساس ..

أولاً : من المألوف أن الأمم والشعوب تتخذ لها أسماء جامعة تعرف بها نفسها أو تطلق عليها من غيرها .. فالرومان مثلاً هم الذين أطلقوا على سكان شمالي أفريقيا اسم (البربر) .. والغاليون هم الذين سموا (الجرمان) باسمهم .

أما العرب فلم يكن لهم اسم جامع أو تعبير قومي يعرفون به قبل الإسلام .

وإذا اعتبرنا أن الشعر الجاهلي هو القاموس الجامع للتعابير المستعملة في تاريخ العرب قبل الإسلام فإننا نستطيع التأكيد بأن هذا القاموس خلو من أية صيغة اشتقت من كلمة (عرب) سواء في نطاق المفهوم القومي أو في نطاق المفهوم اللغوي ..

ثانياً : كذلك يتأكد لنا من استعراض التاريخ الجاهلي انعدام الشعور لدى سكان الجزيرة بأنهم أبناء قومية واحدة ، وأن العروبة هي قاسمهم المشترك على صعيد الجنس واللغة والمصالح المشتركة .

هذا الواقع التاريخي الذي يؤكد انعدام الشعور بالوحدة القومية عند العرب قبل الإسلام تثبته كثير من الوقائع

والأحداث التاريخية نورد منهـا على سبيل المثال : أن عنترة الشاعر الجاهلي لم يجد في قاموس التعبير العربي كلمة يمكنه بها أن يفصح عن الإحساس القومي الجامع في مواجهة الفرس وقوميتهم الديلمية ، فلم يكن منه إلا أن قال في معلقته :

شربت بمـاء الدحرضين فأصبحت
زوراء تنفر عن حيـاض الديلم

كذلك يروى أنه قدم (قيس ابن عاصم) وابن عمه (عمرو ابن الأهتم) على الرسول ﷺ .. فلما صارا عنده تسابا وتهاترا . ثم قال قيس للرسول مشيراً إلى عمرو وقومـه (والله يا رسول الله ما هم منا وإنهم أهل الحـيرة) ... فرد عليه عمرو موجهاً خطابـه إلى رسول الله ﷺ (بل هم والله يا رسول الله من الروم وليسوا منا) فنهاهمـا الرسول عن هذا التلاحي وأفهمهما أن الإسلام قد أغرق العصبيات كلها .

ثالثاً : يتضح لنا من كل مـا سبق أن الإسلام هو الذي سمى العرب باسمهم هذا .. وجاءت هذه التسمية ضمن نطاق المخاطبة والتكليف والوصف والتصوير في عدد من الآيات والأحاديث .. ومن يوم أعطى الإسلام الواقع العربي المـدلولات والتعابير الجامعة جرى استعمال واستخدام كل المشتقات من لفظة (عرب) في شتى المجالات الأدبية والسياسية ..

ففي العام الثالث الهجري طالعنـا الشعراء بنمط جديد من

التعبيرات لم يسبق لشعراء الجاهلية أن استعملوها من قبل ...
يقول سعد بن مالك في وصف الرسول ﷺ :

بدا لنا فاتبعناه نصدقه   وكذبوه فكنا أسعد العرب

وقال حسان بن ثابت يقرع بني (هذيل) لما اشترطوا على الرسول أن يحل لهم الزنا ليعتنقوا الاسلام :

سألت هذيل رسول الله فاحشة   ضلت هذيل بما قالت ولم تصب
سألوا رسولهم ماليس معطيهم   حتى الممات وكانوا سبة العرب

رابعاً : إن الاسلام حين أعطى العرب هذه التعبيرات إنما كان يهدف إلى صياغة مفاهيم هذه الأمة التي اصطفاها لحمل رسالة الاسلام .. صياغة كلية كاملة متكاملة يتحقق بها تكوينها وخلقها على عين الاسلام وفي إطار مفاهيمه وتصوراته .. ولم يكن القصد من ذلك أبداً إعطاء العرب مبررات الانعطاف على الخط الذي جاء به الاسلام والانفصال عنه ... وبالتالي تحميل هذه التعابير فوق ما تحمل من معان قومية لا يمكن لها إلا أن تكون إطاراً لمحتوى عقيدي ، ولا غنى لها بنفسها عنه .

وليس أدل على ما نقول من الحرج الذي أصاب الاتجاهات القومية عند مواجهتها لغزو الفكر الشيوعي قبيل منتصف هذا القرن بقليل ، حيث تهاوى المنطق القومي الفارغ أمام هجمات الفلسفة المادية الغازية .. ثم ما كان منه أي الاتجاه القومي –

تحت تأثير الضغوط المختلفة إلا أن أسرع الى تبني محتوى فلسفي ليقي به نفسه غوائل الضياع والشرود في مهامه ومتاهات مقفرة من النظريات والتفسيرات القومية الشتى .

ولو بقي التلازم قائماً – كما كان من أول يوم – بين العروبة والاسلام وبين العربية والإسلامية ، على اعتبار أن العروبة جسد الاسلام روحه ، وأنها كيان الاسلام محتواه .

لو بقي التلازم على هذا النحو لما تهددت حصون العروبة من داخلها ولكانت بغنى عن أن تستجدي العقل البشري منتجاته المشوهة الممسوخة التي فشلت هي الأخرى في حمايتها ، بل وساعدت على إعطاء الاتجاهات المادية الغازية مبررات التحدي لها والطمع بها والاغارة عليها .

وبين عشية وضحاها أضحت بلادنا مرتعاً لذئبان الشرق والغرب ومسرحاً لتنافس المعسكرات الدولية والاتجاهات المادية .

وبذلك ضاعت معالم شخصيتها .. وانقطعت صلتها بماضيها . وغدت شريدة طريدة تتلمس قوتها على مآدب أعدائها وتهرق في سبيل ذلك ماء وجهها ودماء حياتها ..

كل ذلك لأن (العروبة) فقدت بانفصالها عن الاسلام عناصر بقائها وعوامل قوتها ومؤهلات ريادتها ، فكان أن أصابتها هذه الانتكاسة الأخيرة التي أفقدتها أسباب النجاح في دنياها وعوامل

الفلاح في أخراها وذلك هو الخسران المبين؟

وأخيراً لا آخراً بقي على دعاة العروبة أن يدركوا أن فضل الإسلام على العروبة والعربية فضل كبير بل وأكبر من أن يسمه حصر . فلولا الإسلام لما كانت هناك (عروبة) ولما كان هنالك كيان جامع للعرب . . فالإسلام هو الذي عرب تسعة أعشار البلاد المعروفة اليوم بأنها عربية .. وهو الذي حفظ على العرب لسانهم ورشحهم إلى الدنيا رواد حضارة وإنسانية .

فهل بعد هذا يغمط الفضل وأهله ؟

وهل بعد هذا ينكر (العروبيون) للإسلام ؟

إن هذا لهو العقوق الأكبر والكفران المبين ؟

٤ ــ المصلحة المشتركة

وأما قولهم أن العرب تجمعهم وحدة المصالح والآمال والآلام وإن هذه عنصر من عناصر القومية العربية ، فهو قول قديم ومفهوم رجعي لم يعد له في هذا العصر أدنى قيمة ؟؟

إن العالم اليوم يشهد من أقصاه إلى أقصاه ألواناً شتى من الاتحادات والتجمعات والتكتلات والمعسكرات بين دول لا تجمعها وحدة قومية ، وإنما جمعتها المصالح المشتركة ووحدة الآلام والآمال . .

إن أميركا وتركيا تشتركان في (ميثاق الأطلسي) مع تباينهما القومي . والسوق الأوربية المشتركة دليل واقعي على أن المصالح المشتركة قد تعدت نطاق القوميات حتى غدت أو كادت تغدو ضرورة عالمية ؟

إن المصالح المشتركة ووحدة الآمال والآلام غدت عامل جمع لقارة بأكملها كالوحدة الافريقية مثلاً . ثم إن ما تجمعه المصلحة اليوم قد تفرقه غداً . وبذلك تفقد (خاصة) المصلحة المشتركة قيمتها كمرتكز أساسي للقومية العربية .

القومية العربية في طورها (الماركسي) :

تكلمنا في الفصل السابق عن فكرة القومية العربية في طورها البدائي الأول، أي قبل تحولها إلى حركة يسارية وتبنيها للفلسفة الماركسية كمنهج حياة ..

إن الفكرة القومية العربية انعطفت في الخمسينات والستينات من هذا القرن انعطافات خطيرة وجذرية بعد أن أحس دعاتها بضحالة مرتكزاتها الفكرية ، وبعد أن أخذت الاتجاهات (العقائدية) الغازية تشكل خطراً على المد والفكر القوميين .

لقد كان الفراغ الذي عاشته القومية العربية من حيث الفكر الفلسفي فرصة مناسبة للاجتياح الماركسي الذي تعرضت له ، والذي أدى إلى سلسلة من الانشقاقات في الحركة القومية العربية

إلى أن غدت حركة يسارية صميمة بل ومتطرفة ؟

وهذا ما يحتم نقدها كحركة ماركسية من خلال مناقشتنا السابقة للفلسفة الماركسية ..

القومية العربية والمعنى التعصبي :

أما المعنى التعصبي للقومية فإنه مرفوض من الإسلام كما هو مرفوض من كل (فكر إنساني) ..

إن القومية سمة من سمـــات الجاهلية (كالقبلية والعنصرية والطائفية) والاسلام يأمر الناس بأن يلتزموا (الحـــق) مجرداً ويدوروا في رحى الحق أبداً ..

لقد فرق (الحق المجرد) بين محمد بن عبد الله (العربي)وبين ابي جهل (العربي) كما جمع بين بـــلال (الحبشي) وأبي بكر (القرشي) ؟

إن مبررات التفاضل بين النـاس في الاسلام ليس العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة؟وإنما هي قيمة الانسان وحقيقته الانسانية (لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض فضل إلا بالتقوى . كلكم لآدم وآدم من تراب) .

إن المواجهات العسكرية التي قامت في صدر الإسلام إنمـــا

كانت ابتداء بين العرب أنفسهم ، خالفت بينهم المبادىء والمعتقدات فلم تفلح في جمعهم عصبية دم أو قومية عرق أو وحدة لغة ؟

من أجل ذلك حذر الاسلام من ضلال الدعوات التعصبية جمعاء فقال الرسول ﷺ (دعوها فإنها منتنة) وقال (ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية) .

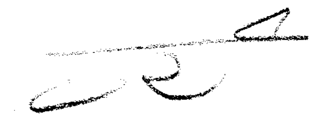
وصدق الله تعالى حيث يقول (يا أيها الناس : إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

كتب للمطالعة حول هذا البحث

* القومية في نظر الاسلام تأليف محمد احمد باشميل
* العرب والاسلام » أبو الحسن علي الحسني الندوي
* محمد والقومية العربية » الدكتور علي حسني خربوطلي
* نقد القومية العربية » الشيخ عبد العزيز بن باز

الفهرس

الموضوع	الصفحة



الموضوع	الصفحة